قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام

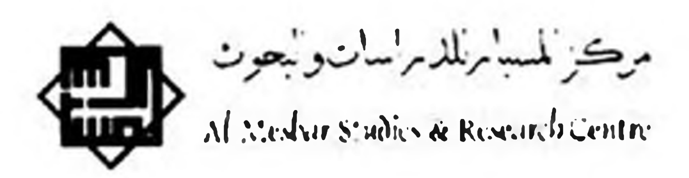
أحمد عدنان - ناصر الحزيمي
منصور النقيدان





جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

Princess Nora Bint Abdul Rahman University



قصة وفكر
المحتلين للمسجد الحرام

أحمد عدنان
ناصر الحزيمي
منصور النقيدان

الكتاب: قصة وفكر
المحتلين للمسجد الحرام

المؤلف: أحمد عدنان - ناصر الحزيمي - منصور النقيدان

الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث

التصنيف: فكر ديني - تاريخ حديث - جماعات إسلامية

الطبعة الأولى، فبراير (شباط) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-54-4

الكتاب متوفر على الإنترنت:
مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com



www.almesbar.net

ص.ب. 333577
دبي الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 77 151 36 4 971+
فاكس: 78 151 36 4 971+

info@almesbar.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموماً، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي. يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً. كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضراً في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية. ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتنوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.


مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

تقديم

بقيت القصة الحقيقية للجماعة التي احتلت المسجد الحرام صبيحة الأول من شهر محرم 1400 للهجرة، بعيدة عن غالبية ما نشرته وكالات الأنباء والصحافة العالمية والكتب التي تناولت الجماعة وأسباب احتلالها للحرم. وقد نسجت مخيلة الرواة أساطير كثيرة عن قائد الجماعة جهيمان العتيبي قبل الاحتلال وبعد القبض عليه. تضمن الكتاب ثلاثة نصوص لكتّاب سعوديين هي محاولات لكشف لغز استبهم أكثر من عقدين، قبل أن تبدأ الصحافة السعودية والكتّاب المحليون الحديث عنه على استحياء، مع بداية الألفية الثالثة. يكشف الكتاب كثيراً مما بقي مجهولاً عن فكر الجماعة التي كانت وراء الحدث الكبير الذي فاجأ العالم الإسلامي صبيحة الحادي والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني 1979. مستنداً إلى شهادة شخصية هامة، مدعومة بوثائق من منشورات الجماعة والمصادر الشفهية ومقابلات خاصة مع مصادر أمنية ورسائل من أشخاص كانوا على صلة بما حدث.

رئيس المركز

تركي الدخيل

تركي الدخيل

www.turkid.net

وثائق «جهيمان» استعادة أوراق منسية

أحمد عدنان(*)

بمناسبة الذكرى الثلاثين لحادثة الاعتداء على الحرم المكي الشريف من جماعة جهيمان العتيبي في 1 1 1400هـ/21 11 1979م. أجد من الضروري أن تعاد قراءة الرواية الرسمية والمحلية عبر بيانات وكالة الأنباء السعودية .واس. ووزارة الداخلية وبعض ما نشرته الصحف السعودية وقتها عن هذا الحدث المحوري في تاريخ المملكة وربما تاريخ العالمين العربي والاسلامي.

(*) صحافي سعودي

أردت أن أركز على الرواية الرسمية والمحلية لعدة أسباب، منها: إتاحة الفرصة للباحثين لقراءة الخطابين الرسمي والإعلامي والمقارنة مع المصادر الأخرى، وإعادة القارئ إلى الأجواء العاطفية والسياسية –لتلك المرحلة– ومحاولة تعريفه بما جرى، لأن كثيراً من القراء لم يعايشوا تلك الأحداث.

وأود بداية أن أعطي بعض الملاحظات على هذه الرواية -كصحافي وليس كمؤرخ- قبل أن أتركها تنساب للقراء من دون تدخل مني أو تعليق سوى في أضيق الحدود. أولى الملاحظات، أنه رغم ضخامة الحدث وأهميته، إلا أن تغطيته لم تتوازَ أبداً مع تلك الضخامة والأهمّية. وسنلاحظ قلة المواد التي حاولت تفصيل ما جرى داخل الحرم. وركّز جلّها على تناول الحدث من خارجه، هذا إذا تغاضينا -بالأصل- عن قلة البيانات التي صدرت عن وزارتي الداخلية والإعلام والتي بررها وزير الإعلام حينذاك د. محمد عبده يماني بعدم اعتماد منهج الإثارة والتهويل! كما أننا سنلاحظ ركاكة لغوية ومهنية في بعض البيانات الرسمية والتغطيات الصحافية، و في تسابق بعض التصريحات والتغطيات على إعلان انتهاء الحادثة مبكراً، إضافة إلى بعض التضارب في تصريحات المسؤولين لعلّي أحيله إلى أسباب تنسيقية بالدرجة الأولى.

هذه الملاحظات، أضفَت غموضاً طبيعياً ومفهوماً –بالنسبة لذلك الوقت– على الرواية السعودية للحادثة. وفي المقابل، يتضح تماماً مقدار الصرامة الإعلامية التي تم التعامل بها مع الحدث، التي تمثلت

في التأكيد والتكرار والتذكير إلى درجة المبالغة والملل والدعائية بخروج هذه الفئة الباغية والفاسدة -لا الضالّة كما نسمع اليوم- عن الإسلام. ومن وجهة نظري، فإن هذه الصرامة وهذه المبالغة ملمح إيجابي يستحق الثناء، لأنها تعكس منهج الحزم الأمني والسياسي في التصدّي للحادثة والفكر الذي أفرزها، ولعلنا في أمسّ الحاجة هذه الأيام لاستعادة ذلك المنهج الصارم في الحرب على الإرهاب داخل المملكة من الناحية الفكرية والإعلامية والثقافية، توازياً وتكاملاً مع الصرامة الأمنية والعسكرية التي تنتهج بنجاح.

من جهة أخرى، نلاحظ حرص الرواية الرسمية على التأكيد بأن الملك خالد لم يعطِ توجيهاته ببدء تحرير الحرم أو تطهيره إلا بعد فتوى شرعية من العلماء جميعاً. وسنلاحظ أن الملك ربط بين تطهير الحرم وتحرير القدس تحت تأثير فورة القضية الفلسطينية أو نهايات تلك الفورة. كما أن الملك أدغم فتوى أخرى للعلماء داخل خطابه الذي اعتمد تنفيذ أحكام الإعدام، ومن اللافت -أيضاً- نفي الأمير نايف لأية صلة خارجية بـ جهيمان ورفاقه، وفي المقابل رفض مسؤولون آخرون أي بُعد اجتماعي أو سياسي داخلي لها! وبالتالي انعكس هذا على التغطية الإعلامية التي عزلت الحادثة عن سياقاتها الدولية والمحلية.

نبدأ بالبيان الأول الذي أصدرته وزارة الداخلية في 1 - 1 - 1400هـ/21 - 11 - 1979م: «اغتنمت زمرة خارجة على الدين الإسلامي صلاة فجر يوم الثلاثاء 1 - 1 - 1400هـ. وتسللت إلى المسجد الحرام ومعهم

بعض الأسلحة والذخيرة. وقدموا أحدهم إلى جموع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء صلاة الفجر مدّعين له بأنه المهدي المنتظر. ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة وتحت وطأة السلاح منهم. وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف. وبناءً على فتوى من العلماء جميعاً اتُخذت الإجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام».

لم يستقر الخطاب الإعلامي أو الرسمي على وصف جماعة جهيمان. فهم إما «زمرة» أو «فئة باغية» أو «خوارج» أو «مسلحون». وكان الحديث عن الجنود مطعّماً بالنكهة الدينية. فهم «مجاهدون» ويسمون لـ «الشهادة». وأعتقد أن هذا مفهوم لسحب المشروعية الدينية من جماعة جهيمان.

بيان من وكالة الأنباء السعودية «واس» مساء 1 - 1 - 1400هـ/21 - 11 - 1979م تحت عنوان «فتوى أصحاب الفضيلة العلماء» أنقل موجزه الذي نشرته الوكالة في بداية بيانها: «في يوم الثلاثاء الأول من الشهر المحرم 1400هـ. دعانا نحن الموقعين أدناه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود فاجتمعنا لدى جلالته في مكتبه في «المعذر». وأخبرنا أن جماعة في فجر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة دخلوا في المسجد الحرام مسلحين وأغلقوا أبواب الحرم وجعلوا عليهم حراساً مسلحين منهم. وأعلنوا طلب البيعة لمن سمُّوه المهدي. وبدأوا مبايعته ومنعوا الناس من الخروج من الحرم. وقاتلوا من مانعهم وأطلقوا النار على أناس داخل

الحرم وخارجه وقتلوا بعض رجال الدولة وأصابوا غيرهم، وأنهم لا يزالون يطلقون النار على الناس خارج المسجد. واستفتانا في شأنهم وما يعمل معهم، فأفتيناه بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام ووضع السلاح، فإن فعلوا قُبل منهم وسجنوا حتى يُنظر في أمرهم شرعاً، فإن امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم».

وقّع على هذا البيان قرابة الثلاثين عالماً من أبرزهم: الشيخ عبد الله بن حميد، الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ راشد بن صالح بن خنين، الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير، الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشثري، الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الشيخ محمد البشر، الشيخ محمد إبراهيم العيسى، والشيخ محمد علوي مالكي. ووفق رواية شخصية قالها لي أمير بارز بأن بعض المؤرخين يتهمون الملك خالد ظلماً بضعف الشخصية، لكنهم لو حضروا هذا الاجتماع لتأكد لهم بطلان زعمهم. وانتقد الأمير –وهو على حق– تجاهل المؤرخين لقرار الملك خالد التاريخي بتطهير الحرم وتحريره من عصابة جهيمان، وهو القرار الذي يعد شجاعاً وفاصلاً لصالح الوطن العربي السعودي.

على صعيد آخر يروي بعض وجهاء مكة بأن الشيخ محمد علوي مالكي –رحمه الله– اتخذيومها موقفاً حازماً إزاء بعض المترددين من الحضور تسبب له بمحنة طويلة –فيما بعد– وصلت إلى درجة تكفيره! ولم تنته هذه المحنة حتى دعوة المالكي لمؤتمر الحوار الوطني سنة 2003 في مكة.

وينفي الأمير نايف (وزير الداخلية) لـ «واس» بتاريخ 3 - 1 - 1400هـ/23 - 11 - 1979م أية علاقة بين الحادثة وبين الولايات المتحدة. ويوضح –أيضاً– أنه لم يثبت انتماء هذه المجموعة إلى إيران أو إلى جنسية أخرى، ويعلن بأن قوات الأمن أحكمت سيطرتها التامة على الموقف داخل المسجد الحرام، وأنه بات في حكم المؤكد أن تنتهي الحادثة المشؤومة صباح اليوم. وقال إن قوات الأمن استطاعت أن تعالج الموضوع بحكمة بالغة مكّنتها من السيطرة على جميع أجزاء المسجد الحرام من دون وجود مضاعفات.

اتهام الولايات المتحدة سببه أن وسائل الإعلام الأميركية كانت أول من أعلن عن حادثة الحرم. أما إيران فقد أثنى وزير الداخلية على شجبها المبكر للحادثة في مؤتمره الصحافي الأخير.

ويصرّح د. محمد عبده يماني وزير الإعلام في 3 - 1 - 1400هـ/23 - 11 - 1979م لـ «واس» بأن الدولة ستستمر في معالجة موضوع المسجد الحرام بالحكمة للانتهاء منه خلال ساعات. وأن الموضوع في سبيله للانتهاء، وأنه قد تم القبض على معظم أفراد المجموعة الخارجة. ونفى شائعة مقتل الأمير مشعل بن عبد العزيز.

الاستعجال في إعلان معالجة الحادثة يستحق التأمل والانتباه!

وأكد وزير الإعلام في بيان لـ «واس» بتاريخ 4 - 1 - 1400هـ/24 - 11 - 1979م أن الوضع في المسجد الحرام بمكة المكرمة مستتب ويدعو إلى

الاطمئنان حيث إن قوات الأمن تسيطر سيطرة كاملة الآن على كافة أرجاء المسجد وتقوم باعتقال فلول تلك الفئة الباغية من الزمرة التي قامت بهذا العمل الإجرامي الشنيع في أطهر بقعة وأقدس مكان على وجه الأرض. وذكر أنه سيجري بإذن الله إنزال الجزاء الصارم بها وبمن تسوّل له نفسه العبث بالأماكن المقدسة وبأمن وطمأنينة أبناء هذا البلد.

وفي نفس البيان أشارت الوكالة إلى استنكار أئمة المساجد في المملكة –أمس– العمل الدنيء الذي قامت به شرذمة الخوارج على بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وخصصوا خطبة الجمعة للتنديد بهذا العمل الباغي وقالوا إنه انتهاك لحرمة بيت الله الحرام أقدس رحاب الأرض قاطبة.

وأجمع الخطباء على وصف هذه الشرذمة بالخروج عن الإسلام وطالبوا بإنزال أشدّ العقوبات بها. فقد ندد فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح (إمام المسجد النبوي الشريف) بهذا العمل الذي ينافي حرمة الحرم الشريف. وقال إن هذه الزمرة انتهكت حرمة البيت العتيق وحرمة الشهر الحرام وسفكت دماء الأبرياء. وقال إنهم بعملهم هذا حاربوا الله ورسوله وعاثوا في الأرض فساداً، فجزاؤهم كما حدّده الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: 33). وامتدح فضيلته الإجراءات التي اتخذتها الحكومة والتي اتسمت بالحكمة وبعد النظر لتجنيب الأبرياء مخاطر الفتنة الشنعاء.

كما شجب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ خطيب وامام الجامع الكبير في الرياض (ومفتي المملكة اليوم) هذه الفعلة الشنيعة ووصف مرتكبيها بأنهم خوارج. وقال إنهم يدّعون السلفية والسلفية منهم براء، فقد انتهكوا حرمة أقدس الرحاب، بيت الله الحرام، وروّعوا الآمنين به، فاستحقوا بذلك لعنة الله، ولعنة الناس، وطالب بتطبيق حكم الله فيهم. وقد التقت خطب أئمة المساجد الأخرى في أنحاء المملكة حول هذه الأفكار.

وفي نفس اليوم صرّح الأمير نايف -مرة أخرى- لوكالة الأنباء السعودية بأنه ليس هناك علاقة للولايات المتحدة أو إيران بحادثة الحرم، وأكد على أنه ليس للحادثة أي مضمون سياسي، واعتبرها عملاً إجرامياً محضاً.

في 5 - 1 - 1400هـ/25 - 11 - 1979م أدلى إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ محمد السبيل للصحافي خالد الحسيني في صحيفة «البلاد» ببعض التفاصيل عن قصة الاقتحام. يقول السبيل الذي قدر المسلمين الموجودين في الحرم وقت الحادثة بمئة ألف: «كان هؤلاء (المسلحون) بعد انتهاء الصلاة يقومون بالدوران ويخترقون الناس بعجلة، وإذا رأوا شخصاً وتبين لهم أنه مواطن قالوا له: اذهب وبايع المهدي. وقد تسلل نفر منهم إلى غرفة مكبرات الصوت وقاموا باستعمالها في مبايعة من سمّوه المهدي». ثم روى السبيل قصة هروبه من الحرم: «خرجنا بين التسلل وبين غير ذلك مع الجمهور الذي خرج من النفق بعد أن تم إقفال كامل الأبواب من قبل هؤلاء

المجرمين. وعند خروجي مع مجموعة من الحجاج بعد أن تركت مشلحي (عباءتي) أقبلت على الباب واذا بي أقف أمام 6 مسلحين. وخرجت من وسط الناس دون أن يلاحظوا من أنا والا كان الأمر غير ذلك».

وفي اليوم نفسه كانت افتتاحية «عكاظ» على صفحتها الأولى: «يحفل التاريخ الإسلامي بالكثير من فرق الخوارج ودعاة التعصب والهوس الديني... والمملكة العربية السعودية رفعت راية الدفاع عن الإسلام وأقامت المجتمع الإسلامي الصحيح... وملايين القلوب التي خفقت بعد الجريمة التي ارتكبتها مجموعة مارقة ضالّة ومضلّلة في المسجد الحرام، الذي مَن دخله كان آمناً، هي الدليل على هذا الإجماع الإسلامي على إدانة هذه الجريمة ورفضها والمطالبة بإنزال أقصى أنواع العقاب على مرتكبيها باعتبارهم خارجين على الدين. إن عقاب هؤلاء المجرمين ليس من أجل إهانة وتحدّي مشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم فقط، ولكن من أجل مواجهة الهوس اللامسؤول، وهذه الخزعبلات المدمرة التي يحاول بعض الأفّاكين أن يلصقوها بشريعة الله».

أما في 6 - 1 - 1400هـ/26 - 11 - 1979م، تفاجئنا صحيفة «الندوة» بنشر الخبر التالي: «استكملت قوى الأمن الليلة الماضية تطهير المسجد الحرام من المقتحِمين وسيطرت عليه واعتقلت جميع أفراد المجموعة الشريرة التي انتهكت حرمات المسجد فجر الثلاثاء الماضي».

وهو خبر غير دقيق بالمرة قياساً بالرواية السعودية نفسها!

وصرح وزير الإعلام بتاريخ 7 - 1 - 1400هـ/27 - 11 - 1979م لـ «واس» تصريحاً طويلاً أوجزه بما يلي: «لم نصدر بيانات يومية لأن سياستنا الإعلامية تبتعد عن الإثارة والتهويل وتعتمد نشر الحقائق كاملة، وجهات الأمن تسير بالتدرج للقبض على مقتحمي بيت الله الحرام ثم تقديمهم إلى الحكم الشرعي العادل».

وفي نفس اليوم كانت صحيفة «المدينة» تنشر خبراً غريباً لا يقل في غرابته عن خبر «الندوة» عنوانه: «القبض على رئيس الشرذمة المارقة والبقية الباقية منها». ومما جاء فيه: «علمت صحيفة» «المدينة» بأنه تم القبض على المهدي المزعوم محمد عبد الله القحطاني، والقبض على والدته وزوجته وأخواته. مما يتضح أن المهدي المزعوم كانت ترافقه عائلته. وقد أصدر المقام السامي أوامره للجهات المختصة بالإسراع في إصلاح التلفيات. ومن جهة أخرى، قام رجال الأمن بإخراج جميع الرهائن المحتجزين من اليوم الأول داخل المسجد الحرام. وكان المجرمون ينفذون خطة داخل المسجد تتمثل في استخدام الرهائن في نقل العتاد للمقاتلين من المجرمين وكذلك الإعاشة والماء. وكانت معنويات القوات السعودية مرتفعة جداً. وقد صرح بعض الرهائن الذين أخرجهم رجال الأمن بأنهم قد ولدوا من جديد».

سيتضح –لاحقاً– أن خبر صحيفة «المدينة» لم يكن دقيقاً هو الآخر قياساً بالرواية السعودية!

نشرت صحيفة «الجزيرة» في 8 - 1 - 1400هـ/28 - 11 - 1979م خبراً مفاده أن قوات الأمن نجحت في حصر قائدي الخوارج وبقية أفرادهم في الدور السفلي من الحرم. وقالت الصحيفة إن المواطنين والحجاج أكدوا لها بأنه لم يتم إخلاء المساكن القريبة من المسجد الحرام والحركة طبيعية.

وينفي وزير الإعلام لـ «واس» في 13 - 1 - 1400هـ/3 - 12 - 1979م حدوث أية اضطرابات في المملكة وأن الفتنة اقتصرت على المسجد الحرام.

وهذا النفي لم يكن موفقاً لأنه كانت قد بدأت في المنطقة الشرقية احتكاكات بين مجموعات شيعية وقوات الأمن في ما يعرف بـ «انتفاضة 1400هـ». وألمح الأمير نايف إليها في مؤتمره الصحافي الختامي نافياً أن يكون لها أية صلة بحادثة الحرم.

اللافت أن الحيز الزمني بين الثورة الإسلامية في إيران وحادثة الحرم و«الانتفاضة» لا يتجاوز السنة. وللمزيد عن تفاصيل «الانتفاضة» مراجعة مقالي «الإصلاح والمعارضة في السعودية» بتاريخ 11 (يونيو/حزيران) 2009 في «الأخبار» اللبنانية.

أعلن وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز في 15 - 1 - 1400هـ/5 - 12 - 1979م لوكالة الأنباء السعودية التصريح التالي: «تم

بعون الله وتوفيقه في الساعة الواحدة والنصف من صباح هذا اليوم تطهير قبو المسجد الحرام من جميع أفراد الطغمة الفاسدة الخارجة على الدين الإسلامي. وقد أسر وقتل جميع من فيه. وكان سمو الأمير نايف قد أعلن رداً على سؤال لمندوب وكالة الأنباء السعودية أنه قد تمت السيطرة على أغلب أجزاء القبو السفلي مساء أمس. وقال سموه إننا في طريقنا إلى السيطرة الكاملة على كامل القبو إن شاء الله وتطهيره من هذه العصابة الفاسدة الخارجة عن الدين الإسلامي».

أجرى التلفزيون السعودي مساء يوم التطهير مقابلة مع الأمير نايف للحديث عما جرى، وهنا أنقل متصرفاً ومعتمداً على نص الصحافي عبد الرحمن إدريس المنشور في صحيفة «الجزيرة» في اليوم التالي:

- علينا أن نشكر الله عز وجل الذي مكّن وهيّأ لنا جميعاً أن ننهي هذه الفتنة الفاسدة من شرذمة فاسدة خارجة عن الدين الإسلامي، وأن يتمكن جنود الله، جنود خالد بن عبد العزيز، أن يعملوا بتوجيهات جلالته وتوجيهات سمو ولي عهده وفق المبادئ التي سبق أن أعلن عنها: سلامة الكعبة المشرفة، وهذا ولله الحمد تحقق. الحفاظ على أرواح الأبرياء من حجاج بيت الله ومن المصلين والطائفين في بيته الشريف، وهذا ولله الحمد تحقق. المحافظة على ما أمكن من أرواح جنود قواتنا المسلحة في الجيش والحرس الوطني وقوى الأمن. وهذا والحمد لله تحقق بأقل ما يمكن من خسائر. ومحاولة الإبقاء على أصحاب هذا المبدأ الخارج عن الدين الإسلامي أحياء وهذا ما عمل له وتحقق إلى حد ما.

- منذ أن حصلت هذه الفتنة، وحينما حصلت، صدرت أوامر جلالة الملك، وحضر إلى هنا الأمير سلطان بن عبد العزيز (وزير الدفاع والطيران) وحضرتُ بمعية سموه، وكذلك حضر إلى هنا صاحب السمو الملكي الأمير فواز بن عبد العزيز (أمير منطقة مكة وقتها) وبوشر فوراً بمعالجة الموقف، فاستُدعيَت جميع القوات، قوات من جيشنا المظفر وحرسنا الوطني المقدام ومن رجال الأمن الأمناء، فبدأت هذه الشرذمة بإطلاق النار على من كانوا موجودين داخل المسجد الحرام وقتل من قتل، وبدأوا بعد ذلك يطلقون النار على خارج الحرم وقتلوا الأبرياء، حتى رجال الإسعاف لم يسلموا من أذاهم. وانتظرنا حتى ما بعد مغرب يوم الثلاثاء حتى صدرت الفتوى التي أعلنت، وأمرنا جلالة الملك المعظم بأن نعيد إلى بيت الله أمنه، وعملنا منذ ذلك الوقت على تنفيذ أوامر جلالته وفق المبادئ التي ذكرناها، وهذا ما جعلنا نستغرق هذه المدة التي وصلت قرابة الأسبوعين، وطبعا بالإضافة إلى الظروف غير الطبيعية لبناء الحرم الشريف، وكنا حريصين على أن لا يمس الحرم أي شيء، خصوصاً الكعبة، ونحن سعداء أن الكعبة لم يمسّها شيء، وهذا هو هدفنا الأول، والا كان باستطاعتنا أن ننهي الفتنة في ساعات قلائل، وكنا نعمل بكل الجهات لأن نخلص الأبرياء الموجودين في الحرم إلى ما قبل أيام حتى تم إخلاء الحرم من آخر إنسان أو مسلم شهيد، وهذا طبعاً كان معيقاً ودقيقاً - في الواقع - للسرعة في تنفيذ المهمة، وبدأنا بعد ذلك في تطهير المنابر والسطوح حتى لا يعتدوا على الأبرياء خارج الحرم، وأنزلوا إلى الدور الثاني، ثم أنزلوا إلى الصحن، وبعدها أنزلوا إلى الأقبية، فسيطرنا عليهم السيطرة الكاملة لمدة أسبوع، ومن صعوبة مواقع الأقبية حرصنا أن نحافظ على سلامة جنودنا

قدر الإمكان. وإن كانوا في الواقع مندفعين اندفاعاً كبيراً وكانوا يتسابقون إلى الدخول إلى الأقبية والقفز للاستشهاد في سبيل الله.

- تم القبض على بعض زعماء هذه الفتنة والبعض الآخر قتل. عدد القتلى من الفئة الضالّة الخارجة حوالي 75 شخصاً. وتم أسر 170 شخصاً. واستشهد من رجالنا 60 فرداً وأصيب 200 فرد. وهذا طبعاً نعتبره عدداً قليلاً بالنسبة للأوضاع التي مرت.

ونقلت «واس» عن الأمير نايف مساء يوم التطهير –أيضاً– تصريحاً بعدما سأله مندوب الوكالة عن ارتباط عصابة الحرم بأية دولة إسلامية: «ليس لأي ناس أو دولة أجنبية صلة بهم». فسأله عن مصير المهدي المزعوم فأجاب: «الذي نعرفه إلى الآن أنه مقتول».

أعلن الأمير نايف في اليوم التالي التعرف على جثة المهدي المزعوم محمد عبد الله القحطاني في أحد أقبية الحرم المكي.

كتب مندوب صحيفة «الجزيرة» في 16 - 1 - 1400هـ/6 - 12 - 1979م تقريراً تحت عنوان «وحسناً فعل التلفزيون» قال فيه: «بث التلفزيون السعودي أمس فيلماً حمل صور العديد من مجرمي الاعتداء على الحرم المكي الشريف، وكان أحد زعماء هذه الطغمة المدعو جهيمان بن سيف العتيبي. وهذه الحفنة من المجرمين هي التي خرجت مستسلمة لقوات الأمن من القبو الأرضي للحرم. ولدى قوات الأمن السعودية مجموعة أخرى

من هذه العصابة استسلمت بكل ذل وانهزام خلال الفترة التي استغرقتها عمليات تطهير المسجد الحرام. وتلك الصور التي لعناها بقلوبنا وألسنتنا ولعنها معنا 600 مليون مسلم قبل أن نراها، كانت من الحيوانية والهمجية في مظهرها مما جعل الإنسان يشعر بالاشمئزاز والتقزز منها. وحقيقة كل منا كان يودّ أن يرى هذه الصور وقد سقطت في الذل والمهانة».

في نفس اليوم بث «واس» ما يلي: «علمت وكالة الأنباء السعودية بأن أفراد الطغمة المارقة عن الدين الإسلامي والذين عرضهم التلفزيون السعودي مساء أمس كانوا قد دهنوا أنفسهم بنوع من الطلاء يحول دون رؤيتهم في الظلام مما ساعد على اختفائهم أثناء تحركاتهم في قبو المسجد الحرام».

في اليوم نفسه أيضاً، نشرت «الجزيرة» إجابة الأمير نايف على سؤال لأحد محرريها عن الشائعات التي تناولت عملية التطهير. أجاب الأمير: «الإشاعات المغرضة نحن نسمعها. لكنها مغرضة ومن جهات غير أمينة في إيراد المعلومات ومعروفة بعدائها للإسلام والمسلمين. وفي الواقع نحن نقدّر كل التقدير ردود الفعل العربية والإسلامية على المستوى الرسمي والشعبي».

أفردت الصحف السعودية مساحات جيدة لبيانات الاستنكار العربية والدولية للاعتداء على المسجد الحرام، وأبرزت في الأيام الأولى من الحادثة اتصالات معمر القذافي، والملك حسين، والجنرال ضياء الحق، وياسر عرفات، وعلي عبد الله صالح بالملك خالد.

أما الشائعات التي قصدها الأمير نايف، يغلب ظني أنها مشاركة قوات فرنسية في التطهير والتحرير. وهي شائعة لم تكن تخلو من مبالغة لأن الصحيح هو طلب السلطات السعودية من فرنسا دعماً لوجستيا تمثل في 3 ضباط أقاموا بأحد فنادق الطائف، يرأسهم ضابط رابع في باريس من أجل الاستشارات التدريبية والتخطيطية. وسبب اختيار فرنسا عدم الحاجة إلى موافقة البرلمان للحصول على الدعم. ومن الطريف أن مصدر هذه الشائعة هو الكابتن باريل أحد الضباط الذين أرسلوا إلى الطائف، والتفاصيل الكاملة حول هذه النقطة متوفرة في كتاب «حصار مكة» للصحافي ياروسلاف تروفيموف.

وصرح الأمير نايف لصحيفة «عكاظ» عن ترتيبات ما بعد التطهير: «من الناحية الأمنية نحن نريد أن يكون الحرم مثلما كان، آمناً للجميع مفتوحاً للجميع وكل وقت، وبالطبع نحن نحرص أن نحفظه في الوقت الحاضر لتكون هناك إجراءات أمنية غير العادة المتبعة حتى نطمئن أنه ليس هناك من يريد أن يسيء للمصلين والمسلمين» وقال لصحيفة «البلاد»: «أسر الشهداء هم محل عطف حكومة صاحب الجلالة ومن جلالة الملك بالذات، وإنني أهنئهم على هذا الفضل من الله والفخر الذي يجب أن يفتخروا به أن أبناءهم شهداء في سبيل الله».

أعلنت لجنة تبرعات أسر شهداء الحرم، التي ترأسها الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الأشغال – أنذاك – في 17 - 1 - 1400هـ/7 - 12 - 1979م، أنها جمعت 100 مليون ريال، وكان أول المتبرعين هو الملك خالد بمبلغ وقدره 12 مليون ريال.

ووجّه الملك خالد كلمة في 16 - 1 - 1400هـ/6 - 12 - 1979م أعرب فيها عن أمله في أن تكون عملية تطهير الحرم المكي طريقاً إلى تحرير القدس.

الحديث عن القدس هنا لافت جداً. حتى أن التلفزيون السعودي بث تصريحاً لمعنوق سعيد القرشي – وهو من جنود الكتيبة الثانية– بعد زيارة الملك خالد للمصابين قال فيه: «أتمنى أن يمنُّ الله علي بالشفاء حتى أعود إلى صف الجهاد ويكرمنا الله تعالى بتحرير قدسه الشريف».

نشرت صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية في 17 - 1 - 1400هـ/7 - 12 - 1979م الخبر التالي: «علمت «الشرق الأوسط» أن المسجد الحرام سيفتح اليوم للمصلين وذلك استعداداً لإقامة صلاة الجمعة من المسجد الحرام ونقلها إلى المشاهدين والمستمعين عبر التلفزيون والإذاعة بعد أن تسبب هذا الحادث البشع في قفل المسجد مدة تزيد عن أسبوعين.... وعلمت «الشرق الأوسط» من مصادرها أن جهيمان العتيبي كان منتسباً للحرس الوطني ولكنه فصل لسوء سلوكه. ثم ادعى التدين وسار في طريق منحرف إلى أن التقى بالمدعو محمد عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) حيث تمكن من السيطرة عليه وأوهمه والجماعة الملتفة حوله بأن محمد عبد الله هو المهدي المنتظر المزعوم ثم تزوج أخته... هذا وقد عاد إلى الرياض بعد ظهر يوم أمس كل من الأمير سلطان بن عبد العزيز (وزير الدفاع) والأمير نايف بن عبد العزيز (وزير الداخلية) والأمير فواز بن عبد العزيز (أمير منطقة مكة) بعد أن أشرفوا على عملية تطهير المسجد الحرام من فئة الخوارج».

نشرت صحيفة «الرياض» في 18 - 1 - 1400هـ/8 - 12 - 1979م المادة الأكثر إثارة –بمعايير ذلك الوقت وقياساً على المواد المتوفرة– عن تفاصيل ما دار داخل الحرم تحت عنوان «وثائق بالتسجيل الصوتي تفضح حقيقة الخوارج وجريمتهم النكراء».وهنا أهم عناوينها:

- خطب، كلماتها إطلاق النار، وتهديد مبطن للمصلين.
- المتمردون حاولوا إقناع المصلين والحجاج بدعوتهم المنحرفة عن طريق ترديد خطبهم ونداءاتهم الإرهابية ولكنهم فشلوا.
- بينما يقول خطيبهم إن البيعة يقبلها المهدي ولا يأخذها، يقول جهيمان: إن البيعة تؤخذ غصباً وبالرشاش.
- خطبهم كانت مليئة بالمغالطات ونداءاتهم إرغام الناس على مبايعة المهدي المزعوم.

من أهم المواد الصحافية خلال تغطية الحادثة. وهي تسجيلات صوتية لخطب ونداءات جهيمان ورفاقه داخل الحرم المكي. ودارت جميعاً حول مبايعة محمد القحطاني مع تبيان الأدلّة الشرعية لظهور المهدي وظروفه وواجب مبايعته، إضافة إلى توجيهات جهيمان لرفاقه بقتل أي متمرّد من الرهائن وعدم التهاون مع جنود الحكومة. وفي نفس العدد حاورت «الرياض» العميد فالح الظاهري قائد مجموعة الملك عبد العزيز الآلية ومخطِّط عملية استرجاع سراديب الحرم الذي قال: «إن عملية تطهير السراديب تمت في فترة قياسية للغاية بالنظر للعمليات المماثلة في الخارج... التحصين الشديد للبيت الحرام والأهداف الأربعة التي وضعتها القيادة أخّرت سرعة التطهير».

وفي اليوم نفسه نشرت صحيفة «الجزيرة» أول حديث موسع مع قائد القوات المشتركة الفريق محمد بن هلال. وأقتطف منه العناوين التالية:

- القدرة العسكرية لقواتنا كانت مشّرفة لتوفر الاستعداد النفسي والانسجام بين القوات المشتركة.

- سموّ وزير الداخلية أبلغني بالحادث فجر الثلاثاء... وتحركت قواتنا على الفور.

- وجهنا نداء الاستسلام قبل أن نطلق رصاصة واحدة من أسلحتنا... ثم كررنا النداءات.

- هناك نقاط قوة ونقاط ضعف في التكتيك العسكري للفئة الباغية.

- لجأ المجرمون إلى استعمال الحصى والإشارات لعدم وجود الاتصال اللاسلكي بينهم.

- وجدنا سيارتين مملوءتين بالذخيرة داخل أحد السراديب.

- جُرح المجرم جهيمان في اليوم الثالث. وظل يقاوم حتى وقع في الأسر.

- النساء والأطفال كانوا يقومون بالإسعاف ونقل الذخيرة والطعام والرسائل.

- كان القتلة ينادون بالاستسلام في الظلام ثم يحاولون قتل أفرادنا لكننا كشفنا غدرهم.

من اللازم أن نشير إلى عدة افتتاحيات نشرتها صحيفة «عكاظ» في صفحتها الأولى بعد تحرير الحرم. ركزت مضامينها على الاحتفاء بتلاحم المواطنين والقيادة وتضامن العالمين العربي والإسلامي مع المملكة، كما أشادت الصحيفة بحكمة القيادة وسرعتها في معالجة الحادثة وإعادة تأهيل المسجد الحرام، وأشادت أيضاً ببسالة الجنود والمقاتلين في أداء واجبهم.

أصدرت «واس» في 12 - 2 - 1400هـ/1 - 1 - 1980م البيان التالي: صدرت موافقة المقام السامي بقبول استقالة صاحب السمو الملكي الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة لأسباب صحية.

وكشف الأمير نايف في 20 - 2 - 1400هـ/9 - 1 - 1980م في ندوة أقامتها جامعة الرياض بأن المهدي المزعوم من أصول مصرية. وصل جدّه مع غزو الأتراك لعسير وسمّي بأسماء القبائل هناك، ولا صلة له لا بقريش ولا بنسب الرسول عليه الصلاة والسلام. وقال أيضاً: «المعتدون على حرمة البيت معروفون لدى أجهزة الأمن، وقد سبق أن أوقفوا وقبض عليهم ولكن المشكلة أنهم كانوا يتستّرون وراء الدين ويتصرفون باسم الاجتهاد والإرشاد».

ننتقل الآن إلى بيان من وزارة الداخلية بتاريخ 21 - 2 - 1400هـ/10 - 1 - 1980م جاء فيه: «إعدام 63 من الفئة الباغية التي اعتدت على المسجد الحرام (أعدم 15 فرداً منهم في مكة، كان جهيمان

العتيبي أحدهم. والبقية أعدموا في مدن متفرقة من المملكة: 10 بالرياض، 7 بالمدينة، 7 بالدمام، 5 في حائل، 7 في أبها، 5 في تبوك، 7 في بريدة). وكانت «واس» قد استبقته بخطاب للملك خالد تضمن فتوى من أصحاب الفضيلة العلماء، واختتمه الملك: «وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضحة أسماؤهم في البيان المرفق إرضاء لله سبحانه وغضباً لحرمة بيته الحرام وحرمة عباده الذين يعبدونه حول البيت وشفاءً لغيظ المسلمين.أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء فلم يسفكوا الدم الحرام عند البيت الحرام ولم يكونوا من رؤوس الفتنة ومثيريها إنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين، لن يكون جزاؤهم القتل، إنما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة سجن كل واحد منهم في وقت لاحق».

كان الأمير نايف قد أعلن منذ 16 - 1 - 1400هـ/6 - 12 - 1979م أن الأطفال الذين قبض عليهم مع المعتدين لن يعاقبوا لأنهم كانوا مجبرين من آبائهم، أما النساء فسيقدُمن للقضاء. وفي 22 - 2 - 1400هـ/11 - 1 - 1980م قال إن 27 شخصاً من الفئة الباغية قد توفوا متأثرين بإصاباتهم وأن عقوبة القتل قد خفضت إلى السجن لمدد مختلفة على 19 شخصاً منهم.

لكن السؤال الأهم يتمثل في مدى كفاية المدة الزمنية بين إنهاء حادثة الحرم وبين إصدار الأحكام القضائية على المسلحين، من حيث التحقيق مع هذا العدد الكبير ثم محاكمتهم لكشف أبعادهم وخباياهم.

بيان أخر من وزارة الداخلية في اليوم التالي 22 - 2 - 1400هـ/ 11 - 1 - 1980م أعلن فيه الأمير نايف أنه جارٍ استكمال التحقيقات مع بقية المتهمين العرب الذين لم تعلن أسماؤهم مع من طبّقت في حقهم عقوبة الإعدام.

وكان قد تم تطبيق العقوبة على 4 من اليمن الجنوبي، يمني شمالي، سوداني، 10 مصريين، عراقي واحد، 4 كويتيين، من ضمن الـ 63، أما البقية فسعوديون.

في اليوم نفسه نشرت صحيفة «عكاظ» خبرين، عنوان الأول: «خالد وفهد وسلطان يزورون المصابين في حادث المسجد الحرام». وعنوان الثاني: «خالد وفهد يشكران القوات المشتركة بمكة». أما صحيفة «الرياض» فنشرت يومها نص التنظيم الخاص برعاية أسر الشهداء والمصابين في معركة تطهير الحرم. وهنا أكتفي بنقل بعض العناوين:

- مكافآت مالية من 400 إلى 800 ألف ريال لأسرة الشهيد أو المصاب بعجز كلي.
- راتب شهرين لجميع العسكريين في مناطق المملكة.
- منح أسر الشهداء العسكريين والمصابين والمشاركين مشاركة فعلية قطع أرض في المناطق التي يرغبونها.
- ترقية العسكريين الذين استشهدوا إلى الرتب التالية لمراتبهم ومنحهم أقصى راتب لهم... وصرفه مع جميع البدلات لعوائلهم لمدة 6 أشهر.

- معاش تقاعدي لأسرة الشهيد دون أن تطالب بإعادة الحقوق التقاعدية.

- تنظيم آخر سيصدر قريباً ليشمل الشهداء والجرحى من المواطنين والمشاركين غير العسكريين.

وفي اليوم التالي في نفس الصحيفة كتب سلطان البازعي هذا الخبر: «صدرت الموافقة السامية على قرارات لجنة تعويضات متضرري حادثة الحرم المكي الشريف. والتي اشتملت على صرف مكافأة رواتب 3 شهور للموظفين الذين اشتركوا اشتراكاً فعلياً في القضاء على الفئة المارقة، وصرف مكافأة عشرة آلاف للمواطنين الذين شاركوا في العملية مع شهادة تقدير من سمو وزير الداخلية. ومرتّب شهرين للعاملين في الشركات والمؤسسات وبعض الجهات الأهلية التي شارك منسوبوها في تطهير الحرم».

أقام الأمير نايف مؤتمراً صحافياً ختامياً في 25 - 2 - 1400هـ/14 - 1 - 1980م قال فيه: «أحب أن أصحح كلمة وصفت عن هذه الفئة بأنها باغية. فالواقع أنها أكثر من باغية فهي مجرمة وخارجة». ونفى أية صلة بين استقالة الأمير فواز وحركة التنقلات العسكرية وبين حادثة الحرم. ورفض تهمة الترهل الأمني «فهؤلاء الجماعة لم يكونوا مجهولين لدينا، وانما المفاجأة لنا أن الحدث حدث بهذه السرعة. فهم لم يقرّروا دخول الحرم إلا في 25 ذي الحجة». وأضاف بأنه لم تكن لهم أية مطالب سوى مبايعة المهدي «ولم نسمع أنهم طالبوا بوقف البترول عن أمريكا». وتحدث عن الكويتيين

والمصريين من أفراد المجموعة بأنه لم تثبت صلة بين المصريين وجماعة «التكفير والهجرة»، ولكن كانت هناك صلة مع الكويتيين. وأبلغت السلطات الكويتية بذلك. وتحدث بتفصيل أكثر عن فكر جهيمان ورفاقه: «دعوتهم وأسلوبهم عندما بدأ قبل سنوات كان أسلوباً عادياً ولم يكن عليه خلاف، وكان بعضهم يشترك في ندوات علمية في المساجد. وفي السنوات الثلاث الماضية شدّدوا مما جعل بعض الرجال الذين لهم بهم صلة أن يبتعدوا عنهم. يريدون فقط مخالفة الجميع ويشككون ليس فقط في علمائنا، بل في من سبقهم. بل تعرضوا أكثر من ذلك إلى الصحابة والخلفاء الراشدين. إن ما حدث منهم قضى عليهم تماماً وسنجتثّ جميع جذورهم».

وفي اليوم نفسه كانت «واس» قد نقلت تصريح وزير الإعلام لمجلة «المستقبل» الذي رفض فيه الربط بين حادثة الحرم وبين جذور اجتماعية وسياسية، وقال: «إن ما جمع أفراد الفئة الضالّة هو انحراف فكري نتج عن غلوٍّ في الدين»، وقال إن هناك صلات فردية بين بعض المصريين وجماعة التكفير والهجرة.

لا يمكن قراءة حادثة الحرم دون ربطها بأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية داخل المملكة والمحطات الإقليمية الكبرى في المنطقة، وتأثيرها على جماعات الإسلام السياسي والحركي والتيارات السياسية المختلفة. أما إصرار الرواية الرسمية على فصلها عن كل ذلك إن كان مفهوماً وقتها فإنه ليس مبرراً اليوم.

كما نقلت صحيفة «الرياض» يومها حوار الأمير فهد (ولي العهد وقتها) لصحيفة «السفير» المنشور في 22 - 2 - 1400هـ/11 - 1 - 1980م. وقال الأمير فهد واصفاً مقدمات الحادثة: «إن هذا الحدث نعيشه منذ 6 أو 7 سنوات ونعرفه بالضبط. هناك مجموعة تحاول جعل العقيدة الإسلامية أو التحدث باسم العقيدة الأساس في التوجه الذي تسير عليه. ويأتي أفرادها إلى المسجد وإلى الناس البسطاء ويحاولون إفهامهم بطريقة أو بأخرى أن العقيدة بدأت تضعف في المملكة، وأنه لا بد للقاعدة الإسلامية أن تنتبه. وللأمانة أذكر أننا قد اتخذنا في بعض الأحيان إجراءات ضدهم في السابق. وتدخل بعض الإخوان للإفراج عنهم عن حسن نية لأن مَن تدخل كان يعتقد أنهم ربما يكونون مفيدين في الدعوة. وحول السلاح لا بد من الإشارة إلى أن كل بيت في السعودية يمتلك السلاح». وذكر أن مجموعة جهيمان أدخلت السلاح إلى المسجد بعد أن دفعت رشوة لأحد بوابي الحرم مقدارها 40 ألف ريال. وقال بأن هذه المجموعة لديها كتب ونشرات طبعت في مطبعة «الطليعة» بالكويت دون علم السلطات الكويتية. ووصف الأمير فهد رئيس المجموعة: «جهيمان رجل ساذج عادي لا يستطيع ولا يحسن التعبير لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير». ورفض أن تكون للحادثة أية جذور داخلية أو ارتباطات خارجية. وقال لـ «واس» في نفس اليوم إن العنف أصبح ظاهرة عالمية، لكن الدولة لن تسمح بأن يصبح العنف وسيلة للحوار في مجتمعنا، مضيفاً: «سنظل نتصل ونختلط ونعطي ونأخذ من العالم حولنا، ولكن بالمقدار الذي يتناسب مع بيئتنا. والجريمة التي ارتكبت على أرض المسجد الحرام لن تمر دون أن نمحصها ونحللها وندرسها دراسة دقيقة ومفصلة».

حديث ولي العهد ووزير الداخلية عن مراقبة جهيمان ورفاقه ومعرفتهم تطرح تساؤلات عدة حول استغلال بعض الجماعات لسلطة الخطاب الديني في تمرير أجندات خاصة من دون محاسبتهم لفترة تخلق نتائج تصل إلى حادثة الحرم أو ما يشابهها.

وصرح الأمير فهد – مرة أخرى – في 28 - 2 - 1400هـ/17 - 1 - 1980م لـ «واس» تصريحاً جديداً عن حادثة الحرم أكد فيه بأن الدولة لن تسمح لهذه الحادثة بأن تعيق مسيرة التنمية والتطور الهادف في الداخل. وأشار إلى أن الجاهلين هم وحدهم الذين يعتقدون أن الشريعة تتناقض مع التطور ومع توفير وسائل الراحة لكل مواطن والأخذ بأسباب التقنية الحديثة والعلوم العصرية المفيدة.

وصدر بتاريخ 2 - 5 - 1400هـ/19 - 3 - 1980م القرار الملكي بتعيين الأمير ماجد بن عبد العزيز أميراً لمنطقة مكة خلفاً للأمير فواز. لتنتهي المفاعيل الظاهرة لحادثة الحرم وتبدأ محرضاتها الكامنة –التي لم تعالج بجدية وعمق– فيُكتب تاريخ جديد للمملكة بعدها يختلف تماماً عمّا قبلها لدرجة أوصلت الكثيرين إلى القول: «قتلنا جهيمان وتبنّينا فكره» التي تتناقض تماماً مع الصرامة الإعلامية والسياسية المستخدمة في مواجهة جهيمان نفسه. فما الذي غيّرته الحادثة؟ أو ماذا تغير بعدها؟ أو بصيغة أدق... ما هي دلالاتها الرمزية والاجتماعية والثقافية والسياسية؟!

أليس من الضروري نشر أوراق التحقيق مع جهيمان ورفاقه. وتعاد رواية القصة بكل تفاصيلها من جديد بشكل أكثر شمولية ووضوحاً لحق المواطن في المعرفة وحق الدارس في المراجعة؟وهل يعقل أن لا نجد في المكتبات أي كتاب لباحث سعودي يتصدّى لهذه الحادثة بالدرس والتحليل باستثناء كتاب لأحد المعارضين نشره باسم مستعار؟ أليست بعض هذه التصريحات تبدو –أحياناً– وكأنها وليدة اليوم أو ملبية لواقع معاش؟! تُرى من يروي؟.. ومن يسمتع؟.. والأهم.. من يعتبر؟!.

رواية الحجاج والجنود

في كتاب «وتموت الفتنة» الذي أعدته صحيفة «الندوة» بعد حادثة الحرم قبل 30 سنة –ولم ينشر– خُصّص فصل كامل يتحدث عن شهادات مجموعة من الحجاج الذين احتُجزوا داخل الحرم. ويقول الكتاب إن هذه الشهادات جُمعت مما نُشر في الصحافة السعودية أو بُثّ في الإذاعة والتلفاز دون تحديد مكان النشر أو تاريخه (باستثناء شهادة الشيخ حمود العقيل التي نشرت في صحيفة «الرياض» ولم يذكر الكتاب تاريخها). ولكن –للأسف– تضمّنت الشهادات كثيراً من الجمل الإنشائية. سأحاول أن أنقل هنا ما أجده مهماً بكثير من التصرف والاختصار:

-قال حاج تركي: «احتجزنا البغاة كرهائن فعانينا أشدّ المعاناة من قسوة الجوع والعطش. وقضينا أيّاماً قاسية لأن هؤلاء المجرمين لم يعرفوا شيئاً اسمه الإنسانية. ولا شيئاً اسمه الشفقة والرحمة. فقد كانوا

يعاملوننا معاملة وحشية كلها قسوة وضراوة. ثم بعد ذلك يتظاهرون بأنهم يحافظون على الدين والدين منهم بريء.

-قال حاج باكستاني: «كنت أنا وإخواني نؤدي صلاة فجر اليوم الأول من شهر المحرم، وبعد الصلاة شعرنا بحركة غير عادية. ورأينا أبواب الحرم تقفل. والناس يجرون هنا وهناك ثم سمعنا طلقات الرصاص تدوّي في أرجاء الحرم ودهشنا أشد دهشة. كيف يدوي الرصاص في المسجد الحرام؟!».

-قال حاج سوداني: «شاهدنا هذه الطغمة المجرمة وهي تمارس أكبر جريمة. صاروا يعبثون ويقتلون أرواح الأبرياء من المصلّين والطائفين والعاكفين. ونشروا الفزع بين الآمنين».

-قال علي أحمد حوري من اليمن الجنوبي: «بعد أن أدينا صلاة الفجر سمعنا صياحاً من المايكروفون بكلمة «المهدي» فهرعنا إلى الداخل وجلسنا ولم نكن نسمع إلا صوت الرصاص... وعندما كنا نسألهم عن طعام أو شراب كانوا يرفضون ما نطلب منهم. وطلب منّا المسلحون الصعود إلى الطابق العلوي من المسعى. فقلنا لهم بأننا لا نستطيع. ثم طلبوا منا الجلوس حتى نهاية تلك الليلة، طلبنا منهم الطعام والماء فلم يلبّوا طلباتنا. أمرونا بالتوجه إلى باب سفلي قريب من «زمزم» وقادونا إلى هناك رافعي الأيدي.ولما خرجنا قابلنا جنود الحكومة وأعطونا الماء والطعام وقالوا لنا: لا تخافوا فأنتم في أمان».

-قالت زوجة محمد يحيى عبد الرحمن (حاج مصري): «قضت ابنتي الصغيرة تلك الليلة في ذعر وصراخ بسبب كثافة إطلاق النيران من حولنا».

-قال حاج مغربي: «كانوا يقتلون حراس الحرم بوحشية لم أرَ مثلها في حياتي».

-قالت ثريا أحمد (مصرية): «كان هنالك عند كل باب ثلاثة مسلحين متحفزين. قضينا الليل بطوله في هلع، واشتدّ إطلاق النار، وسمعنا أصوات المدافع والرشاشات والدبابات من الخارج. وكان النور مقطوعاً حيث قام المخربون بتخريب لمبات الحرم».

-رواية حمود العقيل: «ليلة الخميس 3 - 1 - 1400هـ/23 - 11 - 1979م كان الطريق إلى مكة مكتظاً بسيارات الأمن. وقد أخّرتنا نقاط التفتيش الكثيرة في الوصول إلى مكة قرابة الثلاث ساعات... وكان في ملتقى طريق «كدي» مع «المسفلة» فرقة عسكرية تمنع دخول السيارات إلى مكة... ولكننا دخلنا دون أن يشعروا بنا... فلما صعدنا الجبل إذا بفرقة عسكرية مدجّجة بالسلاح وقف معظم أفرادها في وجوهنا مستنكرين دخولنا إلى هذه المنطقة العسكرية المحظورة. وسألونا عن إثبات شخصياتنا ومن أين جئنا... وفي هذه الأثناء أصبنا بصدمة المعارك داخل الحرم وخارجه... وبعد المسير 200 متر أوقفتنا فرقة من الحرس الوطني. وبعد السؤال والجواب والتفتيش الشخصي أذنوا لنا بمواصلة

المسير. فسرنا قرابة المئتي متر أيضاً فاستلمتنا فرقة عسكرية تابعة للأمن الداخلي وسلّمتنا للمباحث والاستخبارات لأنها لم تطمئن إلينا. وكانت هذه الفرقة تسير بنا ونحن ملاصقون للجدران خوفاً علينا من الرصاص الآتي من الحرم... وقد حدثني أحد إخواننا من الهند أنه شاهد مدفع القوات السعودية يضرب من يطلقون النار فوق إحدى مآذن الحرم. ولما قتلت القذيفة أحدهم، رمى به زميله في الأرض. فلما سقط ركض إليه أحد الجنود المقاتلين ليبعد الجثمان عن باب الحرم، فكان جزاء هذا الجندي رصاصة من هؤلاء العصاة أردته قتيلاً بجوار زميلهم الباغي... وقال لي أحد المقاتلين إنه بعد تطهير الحرم: رأينا كثيراً من موتى هؤلاء الفساق وقد حرق وجوههم زملاؤهم بالمصاحف... وكانوا يتمترسون لا بسجاد ودواليب الحرم فحسب بل بالرهائن أيضاً... قال لي أحد القضاة إنه دار بسيارته حول الحرم من جميع الجهات -لأنه كان يحمل تصريحاً بذلك- فكادت أن تصرعه روائح الجثث المتكدسة في المطاف والمسعى... وقال لي آخر تمكن من رؤية وسط المسجد من فوق الجبل بأن المطاف كان مليئاً بالقتلى لاسيما ما بين المقام والحجر الأسود».

وتحدث الكتاب في فصل آخر عن شهادات الجرحى والمصابين من الجنود نفى فيه الملازم عبد العزيز القضيبي عمل إنزال مظلي موضحاً: «هجمنا هجوماً عادياً تحت حماية ناقلات الجنود المدرعة المجنزرة». وكان الملازم قد أصيب بـ 3 رصاصات وأسره المسلحون مع العريف محمد عسيري -وكان مصاباً هو الآخر- في أحد أروقة الحرم العلوية. وعن هذه التجربة يقول: «كانوا يأتون علينا من حين لآخر ويخاطبوننا بمنطق غريب

يغلب عليه الهوس الديني. ويعتبرون أن كل ما نسير عليه حرام... يحرمون الراديو والتلفزيون والبدلة العسكرية. ويعتبرون رواتبنا مالاً حراماً أيضاً... أسلحتهم كانت متنوعة من الرشاش وبنادق الصيد والمسدسات وقنابل (مولوتوف)».

ونقل الكتاب في أحد الفصول مانشر في صحيفة «الرياض» بتاريخ 29 - 1 - 1400هـ/19 - 12 - 1979م من بطولات المواطنين الذين شاركوا في تطهير الحرم وانقاذ الحجاج.

ومن الضروري الإشادة بالجهد الذي بذله فريق «الندوة» في إعداد الكتاب الذي نقل بعض ما نشرته الصحافة وقتها. لكنه تجاهل في أقسام كثيرة مصادر النشر وتواريخها (مثلاً حديث الأمير فهد لمجلتي النيوز-ويك و«الوطن العربي» نُقل دون تاريخ النشر أو رقم العدد). واضافة إلى إهمال مواد مهمة نشرتها الصحافة السعودية -منها افتتاحيات الصحف. كما أننا سنلاحظ الخطأ في بعض التواريخ لو قارناها بالأصل في الصحافة. وعدم مراعاة ترتيب النشر في بعض أجزاء الكتاب.لكن ما سبق لا يلغي أهمية الكتاب أو قيمته.

ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام(*)

ناصر الحزيمي(**)

قبل أن أبدأ حديثي عن تجربتي في الانضمام إلى «الجماعة السلفية المحتسبة».. وعلاقتي بقائد ومنظر هذه الجماعة جهيمان بن محمد بن سيف الضان العتيبي. أحب أن أعطي لمحة سريعة أو مقدمة. وليعذرني الجميع فأنا أكتب من ذاكرتي بعد ثلاثة عقود من حادث احتلال الحرم وبعد ربع قرن من خروجي من السجن. حيث دخلته في 15 محرم 1400 هـ - 5 ديسمبر 1980. وخرجت منه في 26 رمضان 1406هـ - 26 أبريل 1986.

(**) يعيد مركز المسبار نشر شهادة الحزيمي التي نشرت في كتاب المسبار الثالث والأربعين (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج) الذي نشر في شهر يونيو/تموز 2010

(*) كاتب وباحث في الفكر الإسلامي

انبعاث الصحوة

تعرفت على الجماعات الإسلامية عن قرب في العام 1974 تقريبا في الزبير جنوب العراق حيث ولدت هناك لم أنتم وقتها إلى واحدة من تلك الجماعات، وإنما كنت شاباً يافعاً متديناً. وأنا أعتقد أن تلك الفترة هي البداية الحقيقية للصحوة وموجة التدين السياسي، التي عمت أنحاء الشرق الإسلامي مع بدايات انحسار القوى التقدمية واليسار عموماً، وانحسار المد القومي كجاذب براق للجماهير.

كانت الخطب المسجلة للشيخ عبد الحميد كشك هي الأكثر انتشاراً بين عامة الناس والمتدينين، وكشك هو واعظ وخطيب مصري مفوّه شبه ضرير دخل السجن سنة 1966 وخرج منه سنة 1968. وتكثفت خطبه ودروسه الوعظية بعد هذا التاريخ إلى سنة 1982 تقريبا، وقد توفي سنة 1996. وهكذا عرفت بواسطة تلك الخطب ما أصاب «الإخوان المسلمين» في مصر من معاناة في الحقبة الناصرية. كما تشكلت عندي قناعة بأن الإسلام له أعداء كثر يريدون به شراً. وعلى رأسهم من يدّعون الإسلام ولا يعملون به أو يحكّمونه في شؤونهم العامة والخاصة.

عرفت في البداية كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب ولم أنجذب إليه لعدم فهمي له وقتها. وقرأت القسم المتعلق بالعبادات من كتاب «فقه السنّة» لسيد سابق. ثم قرأت «صفة صلاة النبي» لمحمد ناصر الدين الألباني. وقيل لي وقتها إنه سلفي يلتزم بصحة الحديث، ولأنني لم أكن أسأل عن شيء حتى لا أوصم بالجهل. فلم أفهم من قولهم «سلفي» إلا دلالة سطحية قسرية لم تنفذ إلى العمق.

السلفيون في الكويت

زرت الكويت سنة 1976 وهناك تعرفت على الجماعة السلفية ورموزها، مثل عبد الله السبت، وعبد الرحمن عبد الخالق، وعبد الرحمن عبد الصمد. وقد تكررت زيارتي لمخيمهم. كما أنني حضرت ديوانياتهم، ففهمت السلفية من خلال السماع غالباً. فرفضت التمذهب ونفرت من المذاهب الفقهية الأربعة، ومن أقوال العلماء ومصنفاتهم الفقهية.

كما فهمت معنى «التوحيد» عند هذه الجماعة، وتبنيت مواقفها الرافضة للجماعات الأخرى، مثل: «الإخوان المسلمين» و«جماعة التبليغ»، وهما أكبر الجماعات الموجودة في الكويت من غير التيار السلفي. كما سمعت بوجود حزب التحرير الإسلامي، إلا أنني لم ألتق بأحد منهم. حقيقة كنت قد سمعت مبكراً في الزبير عن جماعة «الإخوان المسلمين» وحزب التحرير. وتعرفت في الكويت على شخص سيكون له دور في تأسيس الجماعة السلفية في الرياض، أعني محمد الحيدري[1]، الذي اتفقت معه على أن نلتقي في الرياض. وهكذا زرت الرياض بعد ستة شهور من مكوثي في الكويت، وسكنت في عزبة، وهي البيت الذي يقيم فيه العزاب. كانوا مجموعة من معارفي وبلدياتي في الزبير، وهو بيت مبني من الطين والحجر

---

(1) معظم الأشخاص الذين جاء ذكرهم في هذا النص ممن ارتبط الكاتب بهم في مرحلة اعتناقه لأفكار الجماعة السلفية، هم أشخاص مغمورون وبقوا مجهولين لدى الباحثين إلا ماندر ممن كان له صلة وثيقة بالجماعة. وسيجد القارئ نص الاستثناء مع أسماء كانت معروفة أو اشتهرت لاحقاً في المجال الديني في مجال الفتوى. النص من ذكر أسماء أشخاص غير معروفين اليوم هو توثيق تلك التجربة، برموزها وشخوصها والفاعلين فيها تسهيلاً للباحثين. ومركز المسبار يقدم هذه المادة الخام لتكون مصدراً لكل دارس مهتم بالحركة.

صغير جداً، عند دوار «ام سليم» القريب من حي الخزان وسط العاصمة الرياض. أما نحن فكان فينا من يعمل، وفينا من يدرس في معهد إعداد المعلمين، وكان عددنا سبعة ، كنا موزعين على ثلاث غرف، أبعاد كل منها 3X2 متر، وواحدة منها فوق السطح.

سلفيون وإخوان مسلمون

عملت في الرياض، بعد وصولي إليها، في محل لبيع خامات التمديدات الكهربائية براتب قدره 900 ريال، وكنت أقرأ كثيراً في كتب السُنَّة ومرويات الحديث النبوي، وقرأت في مصطلح الحديث، وامتلكت بعض الكتب لعالم الحديث السوري محمد ناصر الدين الألباني، وقرأت «كتاب التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب، واحتككت ببعض الشباب الذين عرفت في ما بعد، أنهم من «الإخوان المسلمين». كان «الإخوان المسلمون» في الرياض موزعين على فئتين: فئة رئيسية معترف بها من قبل التنظيم الدولي للإخوان المسلمين: تتميّز بالتنظيم والمشروع الرؤيوي، وتركز أكثر على كتابات سيد قطب، وهم لا يرون البيعة لولي الأمر، ويُعرفون عند البعض بـ «الإخوان المسلمين الجناح القطبي أو القطبيين». والفئة الثانية «جماعة دار العلم»، نسبة إلى بيت كان لهم في دخنة وسط الرياض، كان يطلق عليه «دار العلم»، وكان يحضر جلساتهم مجموعة من المشايخ منهم الشيخ إبراهيم الغيث، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام، والشيخ الراحل عبد الله بن جبرين عضو الإفتاء السابق.

وفي الرياض كان هناك نشاط ملموس لجماعة التبليغ. الذين يتواجدون في المناطق الأكثر شعبية، وكان لهم مسجد في «اسكيرينة» وسط الرياض، ولهذا كان يطلق عليهم البعض «جماعة اسكيرينة». ومنحاهم في الدعوة وعظي تربوي ذو توجه صوفي سلمي. وكان يوجد في الرياض مجموعات متفرقة في المساجد ليس لها أي توجه عموماً. غير الاجتماع على الالتزام الديني والتواصي على أداء الفروض، كانت أشبه بفرق الحواري، أو مراكز الأحياء الثقافية، فكل مسجد فيه غرفة ولابد وأن تجد فيها غالباً مكتبة وشباباً ملتفين حول إمام المسجد.

كانت هذه الأماكن بؤر تجنيد لصالح «الإخوان المسلمين»، أو جماعة التبليغ. وقد تعرفت على أحد هذه المجاميع، وشاركتهم في رحلات خلوية، وسافرت معهم في رمضان من العام 1976 نفسه. ولأول مرة في حياتي أقوم بأداء العمرة. وبالصدفة المحضة جلست في حلقة فيها شيخ يحاجج بالكتاب والسُنَّة، وحوله مجموعة من الطلبة يسألونه، ويرد عليهم بكل ثقة وروية، وتردد في الحلقة اسم الألباني. سألت عن اسم ذلك الشيخ فقيل لي إنه الشيخ علي المزروعي، وهو مدرس في دار الحديث بالمدينة المنورة. كان هذا اللقاء منعطف تحول في تفكيري.

أتممنا العمرة، وعدنا في صبيحة العيد إلى الرياض عن طريق البر، وأنا على قناعة أن عليَّ أن أطلب العلم في دار الحديث بالمدينة المنورة على الشيخ علي المزروعي. وهكذا قدمت استقالتي في أواسط ذي القعدة 1396 نوفمبر/تشرين الثاني 1976 من المحل الذي كنت أعمل فيه،

وللمت عفشي وتوجهت إلى المدينة المنورة جواً في صباح باكر. ووصلت دار الحديث وكلمت الشيخ علي المزروعي ليشفع لي في الدراسة بدار الحديث. وقد بذل جهده، فلم يتيسر له ذلك لانتهاء فترة التسجيل، فكتب لي علي المزروعي خطاباً لأمير الإخوان[2] في مكة عايض بن دريميح، وأوصاني أن أسأل عنه، أو عن عبد الله الحربي، فركبت سيارة أجرة متوجهة إلى مكة في تلك الساعة.

أول محل للتسجيلات الإسلامية

في عام 1977 افتتح أول محل للتسجيلات الإسلامية، على مستوى المملكة، وذلك في الرياض في عمائر الدغيثر، المطلة على شارع البطحاء، كان اسمه «تسجيلات اليمامة الإسلامية»، وهو عبارة عن فتحة صغيرة جداً تبلغ أبعادها 2×4 متر. كان محل تسجيلات إسلامية وحيداً بين مجموعة من محلات الأغاني، وكان حدثاً مهماً بين الإسلاميين، حتى إن بعض المشايخ زاروا هذا المحل وباركوا لصاحبه هذه الخطوة، وأبدوا استعدادهم لدعمه وعرضوا خدماتهم على صاحب التسجيلات. في تلك الفترة لا يستغرب أن تسمع صخب الأغاني المنبعثة من محلات تسجيلات

(2) الإخوان هو الاسم الذي كانت الجماعة السلفية تطلقه على نفسها وينادي به الأفراد بعضهم بعضاً تحبباً. وهو وصف لاعلاقة له بجماعة «الإخوان المسلمين». ووصف «الإخوان» نابع من كون الجماعة السلفية إخوة في الله اجتمعوا على محبته واتباع سنة رسوله. وهو وصف محبب لكل من تطوع في نجد منذ فترة مبكرة لانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد كان المتطوعون المقاتلون من أبناء البادية في جيش الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية يسمون بـ«الإخوان». ولهذا يقال عنهم «إخوان من طاع الله». ومن مطوّعة نجد إخوان بريدة، ومع ذلك فقد كان لكل من إخوان بريدة، والإخوان البدو، والإخوان المحتسبة الذين كان منهم كاتب هذه الذكريات أفكار يتميزون بها عن بعضهم البعض. وكل هذه الفئات لاعلاقة لها بالإخوان المسلمين. لهذا فكلما جاء ذكر لـ«الإخوان المسلمين» في هذا النص فسوف يكون بين مزدوجتين تمييزاً لهم عن الجماعة السلفية المحتسبة التي سنكثر الإشارة إليها بـ«الإخوان».

الأغاني. أما بعد أن افتتح ذلك المحل، فقد أصبح من الصعب جداً أن يُسمع صوت مغنٍّ واحد. لأن صاحب محل التسجيلات الإسلامية يعترض عليه. ويكفي أن ينطلق صوت القرآن الكريم من محل التسجيلات الإسلامية، لكي يُسكت جميع أصوات الأغاني. ومن يعترض على ذلك من محلات تسجيل الأغاني برفع صوت مغنٍّ يتهم بالتشويش على القرآن الكريم وعدم احترامه له. وهكذا بفتح محل صغير للتسجيلات الإسلامية غيرت جميع محلات التسجيلات الخاصة بالأغاني نشاطها أو غيرت أماكنها.

في تلك الفترة لم يكن يوجد في الرياض إلا مكتبة تجارية واحدة متخصصة بالكتاب الإسلامي: وخصوصاً كتب «الإخوان المسلمين»، وهي مكتبة الحرمين في عمائر الدغيثر المطلة على شارع البطحاء نفسها. نعم يوجد مكتبات تجارية أخرى، إلا أن مكتبة الحرمين أكثر تركيزاً على كتب «الإخوان المسلمين»: خصوصاً والكتب الحركية على وجه العموم والكتب السلفية المحايدة، في تلك الفترة، كانت بعيدة عن كتب السجال والردود، فلم أجد عندهم من كتب الألباني إلا مختصر صحيح مسلم للمنذري، والذي علق عليه الألباني، و«صفة صلاة النبي»، و «الزواج الإسلامي السعيد».

مكتبات الرياض

أما الكتاب الذي أثار ردود العلماء، وهو «حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة»، فلم يكن متوافراً غالباً. إلا أن بعض الردود عليه موجودة مثل رد الشيخ عبد القادر حبيب السندي، والشيخ الأنصاري، وغالباً كانت توزع مجانا. في هذا الكتاب «حجاب المرأة»، رجَّع الشيخ ابن

تيمية جواز كشف المرأة لوجهها وكفيها، وأنهما ليسا بعورة، خلافاً لما هو سائد بين علماء المذهب الحنبلي في السعودية. وعُدّت هذه الفتوى من قبل الشيخ وصمة في مسيرته العلمية بين علماء نجد عموما.

يضاف إلى ذلك دعوة الشيخ إلى عدم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة المتبوعة (المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي)، والأخذ من الكتاب (القرآن) والسنّة الصحيحة مباشرةً: هذه الأمور سيكون لها تبعات أخرى فيما بعد خصوصاً وأن «الجماعة السلفية المحتسبة» غالت جداً في مفهوم الأخذ بالكتاب والسنّة، لدرجة أنها أهملت إجراءات الفهم لهذين الأصلين، مثل اللغة وأصول الفقه، بل شاع بين بعضهم ذمها وذم كل ما يمت للرأي أو القياس أو الإستحسان بصلة، ناهيك عن المصالح المرسلة وفقه النوازل، لأنهم يرون أن الصحابة لم يكن عندهم هذه العلوم .

صراع بين التيارات

في تلك الفترة لم يكن لرجال الحسبة من السلطة على المجتمع، كمثل ما نشهده هذه الأيام، كانوا كباراً في السن، تتحكم في انفعالاتهم الحكمة والموعظة الحسنة، لم ينظر لهم المجتمع كجسم غريب عنه، بل كانوا ضمن نسيجه، وكانوا يسمون النُواب، وكان دورهم الغالب هو التذكير بوقت الصلاة، كان النائب الأخ الأكبر للجميع ووالداً مسموع الكلمة، لم يكن على خصام مع مجتمعه، بل يسدد ويقارب بالتي هي أحسن.

من الأمور التي تميزت بها تلك الفترة، حدة الصراع من أجل اجتذاب العناصر المتدينة حديثاً وخصوصاً طلاب المدارس. ففي كل مدرسة تقريباً تياران أو ثلاثة (التيار القطبي وتيار حسن البنا، وكلاهما «إخوان مسلمون»، وتيار جماعة التبليغ)، وكان هناك وراء الكواليس جدال دائم حول استقطاب شخص ما إلى جانب معين منهم، قد يصل أحياناً إلى المشادات الكلامية. ولم أسمع أن هناك عنفاً جسدياً مورس ضد شخص حركي، يملك القدرة على استقطاب شباب العناصر الأخرى في الرياض، لكنني سمعت من مصادر متعددة أن مثل هذا الصدام قد مورس في الكويت: يقال: إن أحد شباب «الإخوان المسلمين» دعا أحد السلفيين الحركيين إلى منزله، وحينما استقبله ورحب به دخل الشاب الإخواني إلى البيت، وعاد بعد برهة، وقد لبس ملابس الكراتيه وطبق عليه جميع ما تعلمه في جمعية الإصلاح الاجتماعي من فنون القتال والاشتباك، وكان الشاب السلفي هزيل الجسم. كان ما حدث فضيحة، فتدخل كبار الجماعتين لتلافي تبعاتها، وحل المشكلة، دون البحث في مثل هذه الممارسات ومؤشراتها المستقبلية.

بيت الإخوان في مكة

وصلتُ مكة مع صلاة الظهر، وسألت في معهد الحرم عن عايض بن دريميح أو عبد الله الحربي، ووصلت أخيراً لعبدالله الحربي الذي قال لي: لعلنا نجد عايض في بيت الإخوان السلفيين في حوض البقر[3]، وهو أول بيت للإخوان في مكة. وذهبنا إلى هناك. كان البيت عبارة عن أرض مسورة بالبلوك فيه غرفتان متواضعتان مسقوفتان بالخشب و«البلاكاش».

---

(3) وهو يقع في أول حي العزيزية بمكة.

والبناء بمجمله عشوائي فلا أساسات تذكر للغرف ولا استقامة للسور. أما الأرضية فغير ممهدة، تركت بنتوءاتها الصخرية. ولا يوجد فيها حمام، ومن أراد قضاء حاجته يذهب إلى حمامات المسجد القريب من البيت، وكذا من أراد الاغتسال. البيت فقير بكل معنى الكلمة. وأنا أظن أنه كان زريبة للحيوانات، وذلك لبقايا مخلفاتها فيه.

انتظرت عايضاً حتى جاء بعد برهة وأعطيته الرسالة التي كتبها علي المزروعي، فقال لي إن المعهد مغلق وسيستأنف الدراسة بعد الحج، وأنا سأكلم مدير المعهد الشيخ صالح المقوشي. وفعلاً تركت أمر المعهد والتسجيل به لعايض، واندمجت في حياة الإخوان من الجماعة السلفية، ولازمت عبد الله الحربي، الرجل الأول من حيث الحركة في فرع مكة، فهو الذي يجمع الإخوان ويذهب بهم للدعوة في ضواحي مكة. وهو الذي يقودهم لطلب العلم على المشايخ. تعرفت وقتها بسلطان اللحياني وبأخيه منصور، والذي كان وقتها ينتمي لجماعة التبليغ، وابن عمهم عبد اللطيف اللحياني، وسويلم السلمي، ومرزوق الهذلي، وحسين الغامدي، وسالم الحازمي، ونور الدين ابن شيخنا بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي.

هذه أغلب أسماء الإخوان في مكة، في الوقت الذي وصلت فيه، ولا يتعدى سن أكبرهم الخامسة والعشرين ما عدا عايض بن دريميح فسنّه وقتها كان فوق الأربعين، وذكر لي أنه بدأ بتعليم نفسه كبيراً، وكان بدوياً يرعى الإبل إلى سن الثلاثين، ثم انتقل إلى مكة بعد أن علم نفسه القراءة والكتابة في البادية فدخل معهد الحرم لعدم اشتراطهم الشهادة الابتدائية، وإنما تُجرى معك مقابلة شخصية يحدد من خلالها المستوى

العلمي والتحصيلي غير النظامي. فمعهد الحرم شكل مطور من دراسة الأروقة، لأن دروسه تتم في أروقة الحرم على الأرض.

وقتها كنا في موسم الحج، وكنت منبهراً جداً بهذا المكان الجديد عليَّ. حجاج من جميع الأجناس ومن جميع بقاع الأرض، وحركة لا تفتر طوال الأربع وعشرين ساعة، ومعتمرون. فقضيت جل وقتي في الحرم، واستطاع عايض بن دريميح أن يحصل للإخوان على إحدى الخلوات، وكان في بدروم الحرم عدد كبير من الخلوات. وكان الإخوان في مكة أدرى الناس بها وبدهاليزها التي كانت خير معين لجهيمان في حادثة اقتحام الحرم.

كانت هذه الخلوات خير معين لي في المبيت هناك، ما عدا ليالي، كنا نمنع من المبيت فيها، بسبب توقع قدوم سيل ينحدر من شعاب مكة، ويأتي هادراً إلى مركز انحدار الأرض في الحرم. لذلك كان له تصريف تحت الحرم. وكان أحياناً يدخل القبو. وكان الناس ينبّه بعضهم بعضاً ويلفتون إلى السيل لأخذ الحيطة والحذر، وخصوصاً القاطنين في الخلوات، ثم أخبرني عبد الله الحربي أن الإخوان في المدينة المنورة سوف يحجون، وأننا يجب أن نستعد لنصب الخيام في منى. وفعلاً بعدها بأيام وصلت الخيام من المدينة في ستة ذي الحجة تقريبا، وتعاوناً في نصبها في المكان المحدد لها في منى، بحيث أصبحت جاهزة. وكان مخيماً كبيراً، وبدأنا باستقبال الحجاج فتعرفت وقتها على علي بن مشرف العمري، وهو أول من تعرفت عليه من أهل المدينة.

كما أني كنت بغاية الشوق للقاء أناس سبقتهم سمعتهم بشكل عجيب مثل جهيمان، وآخرين تعرفت عليهم جميعاً في المخيم بمنى، مثل:

ناصر بن حسين، وسليمان بن شتيوي، وسعد التميمي، واليمني أحمد حسن المعلم، وفيصل محمد فيصل اليامي، وعالم الحديث اليمني مقبل ابن هادي الوادعي، وردن العتيبي، ومطلق بن سهل وهو من أهل ساجر، وسلطان وفهد وعمر وعبد الله وعباس أبناء جار الله من مدينة حائل، ومجموعة من السودانيين من جماعة أنصار السُنَّة، قدموا من الطائف، ومجموعات قدمت من جميع مناطق المملكة، وقد خُصص في المخيم مكان للشيخ الألباني، والذي التقيت به أول مرة. كنت وقتها مندهشاً حتى الثمالة لالتقائي بالشيخ الألباني وبحاشيته الكبيرة من سلفيي الشام. كنت في حالة ذهول شديدة، ولم أصدق أنني فعلاً أجلس بشكل مباشر مع الشيخ، الذي تتلمذت على بعض كتبه، وتبنيت أفكاره واجتهاداته من خلال السماع لدرجة التقليد الأعمى!

كان الدور المناط بإخوان مكة هو القيام بكل مستلزمات المخيم، لأن جميع من في المخيم دخلوا تحت إمرة عايض بن دريميح النفيعي، أمير الإخوان في مكة، فتوزع الإخوان المهام. منهم من أشرف على المطبخ، ومنهم من تولى جلب المياه، ومنهم من كان عليه جلب الإعاشة، وكان دوري مع عبد الله الحربي جلب الإعاشة، فكنا نجلب الخبز للإفطار بكميات كبيرة من مخبز في البلد، قبل صلاة الفجر.

اللقاء الأول بجهيمان

وهكذا مرت أيام الحج بين أداء المناسك، وحضور دروس الإخوان، ودروس الألباني وتعارفي مع من لم أعرفه من الإخوان، وتوطيد علاقتي

بجهيمان، الذي بدا وقتها مشغولاً جداً، وبدأت أتعرف على المسائل، التي يخالف بها الإخوان أصحاب المذاهب الفقهية من المقلدين وانتهى الحج وعاد الإخوان لمناطقهم وعدنا للحرم.

هذا اللقاء، الذي تم في الحج، يكاد أن يكون العلامة على أنني أصبحت أنتمي لجماعة سلفية حقيقية، فمسلكهم وسيماهم ودماثة خلقهم وما يشغلون به وقتهم، كله كان محسوباً. كما أنهم يتميزون عن الجماعة السلفية في الكويت أنهم أكثر جدية وخشونة وعزوفاً عن الشكليات الدنيوية. فمثلاً لم يحدث خلال علاقتي بالجماعة السلفية المحتسبة، أن خرجنا في مجموعة من أجل أن نأكل كُنافة مثلاً، مثل ما كان يحدث في الكويت، حيث كنا نخرج لأكل الكنافة عند الكرد أو الصمدي، أو نخرج لنتناول الآيس كريم أو غير ذلك، بل كانت الخطوات محسوبة ومقننة، ليس من خلال نظام داخلي، بل كانت طريقة حياة، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى طبيعتهم البدوية الصرفة، لهذا تجدهم متواضعين في طريقة حياتهم، فبيوتهم في الحرة الشرقية بسيطة ، بحيث أنني لم أدخل مجلساً من مجالسهم يحتوي على غير الموكيت والمتاكي، مع مكتبة عامرة بكتب الحديث وكتب التفسير.

مكتبات الإخوان

كانت مكتبة جهيمان تحتوي على أغلب كتب الألباني، والكتب الستة بشروحها وتفسير ابن سعدي، وتفسير ابن كثير والبغوي، وكتاب «إتحاف الجماعة» للشيخ حمود التويجري، ونيل الأوطار وسبل السلام، ومجموعة

التوحيد وكتب ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وشرح العقيدة الطحاوية، أما كتب المذاهب الفقهية فتكاد تكون معدومة. هذه مجمل مكتبة جهيمان، وقس عليها أغلب مكتبات الإخوان، ما عدا مكتبة مقبل بن هادي الوادعي، ومكتبة علي المزروعي، فمقبل تتميز مكتبته بأنها مكتبة حديثية صرفة، وما يتبعها من كتب فقه الحديث. أما المزروعي فمكتبته فقهية حديثية.

حياة متقشفة

في تلك الفترة، وخلال سنة من وجودي في مكة، انتقل الإخوان إلى بيت آخر يقع في مكان يسمى الصفيراء، في ضواحي مكة، وضمن حدود الحرم، وهو بيت من البلوك لم يكتمل تشطيبه، جدرانه عارية من دون أسمنت، وفيه ثلاث غرف، وحمامات وحوش واسع ثلثه مسقوف بـ «الأبلاكاش»، وكان بعيداً عن عين كل رقيب أو حسيب، إذ لم يكن حوله أي بيت آخر، بل كان منفرداً في تلك البقعة، وكان بابه يفتح على سهل واسع من الأرض. كان هذا البيت محطة استراحة الإخوان المعتمرين من خارج مكة.

كنت أستلم من معهد الحرم مكافأة قدرها 150 ريالاً فقط، وبما أني متأثر بسير السلف الصالح، ممن طلب العلم ولاقى المحن في سبيل ذلك، فقد كنت قانعاً بهذا المبلغ، والذي كنت أصرفه على القليل من الطعام، وعلى الكثير من الكتب. كان أصحاب المكتبات ينظروننا إلى ميسرة ويصبرون على السداد، وكان ذلك شائعاً ومعروفاً بين الطلبة، وكان يصل لنا بعض الصدقات المخصصة لطلاب العلم في مكة بين فينة وأخرى، وكان مجموع ما وصلني خلال سنة في مكة 2000 ريال تقريباً، يوزعها

علينا مشايخنا في المعهد، أو الشيخ صالح المقوشي مدير المعهد. كنت أسدد بما أحصل عليه من صدقات ديوني المتراكمة لأصحاب المكتبات، وأعتاش بما بقي معي منها.

بائع متجول

كان بعض زملائنا، وخصوصاً المغتربين منهم، يعملون كعمال نظافة في الحرم، وكان بعضهم يعمل كبائع متجول، وقررت أن أعمل كبائع متجول للساعات، واصطحبني أحد الإخوان إلى تاجر جملة، لكي يزودني بالبضاعة، وكانت عبارة عن ساعات «وست أند»، وحينما أخذت هذه البضاعة، ودرت فيها على المعتمرين والحجاج، التقيت بأحد الإخوان ففحص الساعات ثم قال لي هذه البضاعة يحرم عليك ترويجها، وحين سألته عن السبب قال إن هذه الساعات تحتوي على رسمة الصليب، وقد أمرنا بكسر الصليب وطمسه. كنتُ أحمل هذه الأفكار ولم أنتبه لوجود الصليب على الساعات، وذهبت إلى الشخص الذي زكاني عند تاجر الساعات وشرحت له الأمر، فأخذ الساعات مني وأعادها إلى التاجر مثلما أخذتها منه.

وفي المساء دار حوار حول هذه الساعات، وأنه لا يجوز لي أن أرجعها إليه، وإنما ينبغي عليَّ أن أنكر المنكر بيدي، بحيث أعيدها وقد طمست الصليب، وقد اكتشفت فيما بعد، أن الإخوان عموماً يطمسون الصليب بوضع صبغ الأظافر عليه، وبعضهم ممن اقتنع بتحريم لبس

الحديد المحلق[4]. يستبدل أبزيم الساعة المعدني بسير من الجلد أو البلاستك، ومن لم يستبدل السير لا يلبس الساعة، وإنما يضعها في جيبه أو يعلّقها بسلسال ويضعها في جيبه. وقد شاهدت مجموعة من الإخوان يفعلون ذلك ويهتمون به.

كنا بحق في حالة ضنك وضيق مالي. يضطر طالب العلم بسببه إلى التخلي عن أعز ما يملك وهي الكتب. وقد حدث لي حادث هنا. وهو أني كنت أهوى تملك الطبعات الأصلية من الكتب، وقد حصلت على كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» طبعة بولاق. وعلم بها أحد الزملاء، وكنت قد استدنت منه مبلغاً من المال وساومني أن يأخذ مني الكتاب، مقابل دينه. وكان دينه عليّ 450 ريالاً، فرفضت لأن الكتاب أغلى من ذلك، وبعد أسبوع عاد لي مطالباً بنقوده متشكياً من ضيق ذات يده، فعرضت عليه أن يأخذ فتح الباري ويعرضه على أحد هواة جمع الطبعات المعروفين عندنا في مكة، لعله يشتريه. وفعلاً أخذ الكتاب وعاد لي بعد يومين وقال لي: إن الكتاب قد بيع بـ 500 ريال، وأعطاني 50 ريالاً، وأخذ نقوده التي أدين بها له. وبعد مدة زرته في مقر إقامته وأثناء تأملي لمكتبته وجدت كتاب فتح الباري طبع بولاق نسختي العزيزة عليّ تتوسط مكتبته. فما كان مني إلا أن خرجت من بيته مسرعاً لشعوري بأنني تعرضت للخديعة والضرر.

مثل هذه الممارسات وغيرها كثيراً ما تحدث بين الطلبة. وقد تهون مصيبتي بجانب مصائب بعض الطلبة، إذ إن بعضهم يبيع مكتبته بمجملها

---

(4) وهو ما كان على هيئة سوار في المعصم. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم لبس الحلي إذا كان على هيئة سوار، خلافاً للأقراط وغيرها.

بسبب ضيق ذات اليد. وقد تعرفت على رجل حضرمي أصيب بلوثة بسبب حرق مكتبته في اليمن الجنوبي على يد -كما يقول- الشيوعيين، هذا الرجل كان يملك مكتبة كبيرة جداً، تحوي على كل ما وصلت إليه يده من طبعات أصلية من جميع أنحاء العالم، والغريب أنه يحفظ أسماء الكتب ومؤلفيها وتواريخ طبعها، وأين طبعت، والطبعة الجيدة منها، ومن اختصرها، ومن شرحها، ومن ألف في بابها. كان يجلس يتكلم مع نفسه غالباً. وكان يمر أحياناً على بعض حلقات العلم، ثم يقول لي: إن هذا الشيخ يدرس الطلبة كتاباً ناقصاً في هذه الطبعة التي اعتمدها. ثم يمر من المكان نفسه في اليوم التالي، ويردد ما قاله بالأمس. في الحقيقة لقد استفدت منه فوائد ما كنت لأحصل عليها إلا بعد كدٍّ وتعب.

الدراسة في معهد الحرم

كان الشيخ بديع بن إحسان الله شاه الراشدي السندي مدرساً في معهد الحرم بمكة. استأنف معهد الحرم عامه الدراسي بعد الحج، وعاد الشيخ بديع الدين من زيارته لبلده باكستان وبدأت الدراسة في حلقة المبتدئين في القرآن والحديث والفقه ونحوه، والتوحيد والفرائض والتفسير والحساب. كنا نبدأ يومنا بعد صلاة الفجر، حيث يأخذنا عبد الله الحربي بسيارته الوانيت من بيت الإخوان، وفي طريقنا نمر على الشيخ بديع، قبل أن يهدي له الشيخ أبو تراب الظاهري سيارته الكورولا. ونأخذه من بيته ونصلي في الحرم، ثم نتحلق حول الشيخ بديع، عبد الله الحربي، وسلطان اللحياني، ومرزوق السلمي وأنا. كنا نقرأ على الشيخ كتاب «عون المعبود في

شرح سنن أبي داود»، وكتاب «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر العسقلاني، وقد أتممناه عليه في شهرين.

ثم قرأنا عليه «المختصر» لابن كثير. وحقيقة لم أستفد من الشيخ بديع في المصطلح قدر استفادتي من مناقشات الطلبة ومراجعاتهم. ثم بعد ذلك كنا نذهب جميعاً إلى أحد المطاعم القريبة من الحرم، ما عدا الشيخ بديع فيذهب إلى شيخ أعمى اسمه الشيخ فتحي، وهو من جماعة أهل الحديث في الهند وواعظ في الحرم، له خلوة فيه، يذهب الشيخ إليه لكي يفطر معه إلى أن يأتي وقت عمله في التدريس في معهد الحرم، ونحن كذلك، فنستأنف الدراسة من الساعة الثامنة وحتى صلاة الظهر. ثم ندرس حصة واحدة بعد صلاة الظهر تستغرق الحصة خمسين دقيقة تقريباً، أذهب بعدها إلى بيت الإخوان، وأحياناً أبقى في الحرم خصوصاً في الشهور الأولى من سكناي بمكة.

الشيخ بديع الدين السندي

كنت أحرص على أن أكون في الحرم قبل صلاة العصر بساعة، أقضيها غالباً مع الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، وكان يحتفي بي كثيراً، خصوصاً حين علم أنني من الزبير. كنت بعد صلاة المغرب أحضر حلقة الشيخ بديع في كتاب المحلى لابن حزم. ثم مُنع الشيخ من تدريس كتاب المحلى، واستعيض عنه بكتاب تفسير ابن كثير. وسبب منع الشيخ من تدريس كتاب المحلى أنه كان يهاجم المذاهب الأربعة وخصوصاً المذهب الحنفي، وكان بجانب حلقة الشيخ بديع حلقة لطلاب علم من بخارى

يدرسون المذهب الحنفي. وكان الشيخ يُسمعهم ما يكرهون وما هو خارج عن الذوق والأدب. حتى أنه كان يسميهم مخنثي الفقهاء.

كان كثيراً ما يردد قوله ملتفتاً لهم: أنظر إلى هؤلاء «المخانيث» يتركون حديث رسول الله لآراء الرجال. وهكذا حتى شكوه للشيخ محمد بن سبيل مدير الشؤون الدينية في الحرم. وقدموا فيه عريضة جاء فيها: «إن الشيخ بديع يتطاول على العلماء، وإنه يدرِّس المذهب الظاهري. وهذا أمر لم يعهد مثله في الحرمين». فاستدعي الشيخ وطلب منه أن يخفف من لهجته ضد علماء المذاهب الأربعة. وأن يمتنع عن تدريس الفقه الظاهري المتمثل بكتاب «المحلى» لابن حزم. واقترح عليه كتاب تفسير ابن كثير بديلاً عنه، وقد تم ذلك بعد أن قطعنا شوطاً لا بأس به من المحلى. وأصبحنا نقرأ في تفسير ابن كثير.

كانت مرحلة قراءتي. على الشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي السندي، من أهم مراحل تكويني المرحلي في تلك الفترة، بالرغم من أني واجهت مشكلة مع عربية الشيخ غير الواضحة. فقد كان يتحدث العربية الفصحى بلكنة أعجمية غالبة. وكنت في البداية أواجه صعوبة في فهم ما يقول لأنه كان سريعاً في كلامه، فشكوت حالتي لعبد الله الحربي، فقال لي إنه كان يواجه المشكلة نفسها ومع الأيام أصبح يفهم كلامه. أما السرعة فقد كلمه عنها فخفف من سرعته قليلاً، وفعلاً بعد مدة أصبحت أستبين كلامه باعتيادي على لكنته.

وبالرغم من أن الشيخ بديع قد سافر مبكراً إلى أوروبا، وبعض دول أسيا وأتقن عدة لغات مثل الهندية والفارسية والإنكليزية والعربية

إضافة إلى لغته الأم الأوردية. إلا أنه بقي أسير الفهم التراثي للأفكار. نعم كان ظاهري المذهب لكنه ينكر أن «طوق الحمامة» لابن حزم، وينكر أن ابن حزم قد حلل الغناء. كان يخاصم بشكل متعصب كل من يشكك بعقيدة ابن حزم. وهذه الحالة لازمته إلى وفاته. وقد نقل لي بعض الزملاء أن الشيخ بديع كان يرفض فكرة أن ولده نور الدين. قد توفي في حادث احتلال الحرم. وكان مؤمناً بأن ابنه حي يرزق. والغريب أنه يستدل بالآية «وما قتلوه وما صلبوه».

ولو سئلت عمن أفادني في دراستي في مكة. لقلت إنني لم أستفد إلا من شخصين. استفادة حقيقية. وهما: الشيخ بديع والشيخ عبد العزيز بن راشد. أما الشيخ بديع فقد استفدت منه في الدروس التي كان يعقدها بعد صلاة الفجر. وأما الشيخ ابن راشد فقد استفدت منه خلال مذاكرتي معه مصطلح الحديث. حاولت أن أدرس بعض المتون مثل متن السلم في المنطق. وبدأت به فعلاً على شيخ هندي. وعلم عبد الله الحربي بذلك. فكلمني ناصحاً بانفعال لكي يصرفني عن دراسة المنطق. وذكر أن علماء السلف قد شددوا النكير على من يتعاطاه. وأنه مبتدع. وأن عالم المنطق لا يعد في مصاف العلماء. وأن علماءه يجب أن يُضربوا بالنّعال. وأنه ليس من علوم السلف.

عبدالعزيز بن راشد

كنت أحرص على قضاء وقتي بعد صلاة العصر في المسجد الحرام. ألتقي خلاله بالشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي. الذي توطدت

به علاقتي بعد أن علم أنني من الزبير. وقال لي إنه انطلق من مكة مع عبد الله القصيمي. وذهبا للزبير للدراسة على بعض مشايخها، وأنهم سكنوا في مسجد الإبراهيم. وبعد شهور تركوا الزبير وتوجهوا إلى الهند، بعد أن زودهم علماء الزبير بخطابات توصية لعلماء الهند. وبعد ذلك تركوا الهند، وتوجهوا إلى بغداد. وكان معهم في بغداد عبد الله بن يابس. ثم تركوا بغداد وتوجهوا إلى مصر للدراسة في الأزهر. وأخذ يحكي لي عن حياتهم في مصر وعن أسباب التحولات التي طرأت على فكر عبد الله القصيمي.

كنت أستمتع بحديثه الهادئ وذاكرته القوية. وبعد ذلك أصبحت أقرأ عليه في المصطلح. فما كنت أقرأه في درس الفجر أعيده عليه بعد العصر. رحمه الله. كان رئيفاً رفيقاً بصغار الطلبة. تنشرح أساريره لهم. كنت أمر عليه بعد كل عصر حتى بعد أن استقر بي المقام في المدينة. وكنت أحرص على زيارته كلما نزلت مكة. وفي إحدى هذه النزلات وجدت عنده شيخاً بشوشاً فقدمني له الشيخ عبد العزيز بقوله: هذا فلان من الإخوان. ثم قال الشيخ عبد العزيز: وهذا الشيخ محمد أمين المصري. فقلت: الشيخ محمد أمين المصري شيخ شيخنا مقبل بن هادي الوادعي؟! فقال: نعم. فقلت للشيخ محمد: لقد سمعت عنك كثيراً. وتمنيت لو كنت درست عليك. فقال: «إن الملأ يأتمرون بكم».

كنت وقتها مطلعاً على ما كان يكتبه بعض المشايخ، وطلبة العلم، ضد الإخوان. فقلت له: «سيكفينا الله شرهم». هذا الكلام كان قبل الاعتقال الأول بشهور.

لقد رأيت الشيخ عبدالعزيز بن راشد يسعى خلف الشيخ عبد الله بن حميد، ووقف يسأله عن سبب منعه من التدريس والسماح لعلوي المالكي . كان الشيخ قد منع من التدريس في الحرم بسبب أنه ظاهري المذهب، ولمهاجمته للمذاهب الأربعة. وكان يشعر بالمرارة لأنه يحارب في مصر لآرائه في التوحيد وهي سلفية. وكان بعض علماء الأزهر يطلقون عليه اسم الوهابي الخامسي، وكانوا يطلقون على الوهابية الخامسية، وواحدهم خامسي، لأنهم يرون أنهم استحدثوا مذهباً خامساً غير المذاهب الأربعة وهي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي. فلما انتقل إلى بلده المملكة العربية السعودية حورب من قبل علماء المذهب الحنبلي، لأنه ظاهري المذهب، من أتباع ابن حزم، ومنعه الشيخ عبد الله بن حميد، رئيس إدارة الحرمين ورئيس مجلس القضاء الأعلى، من التدريس. توفي الشيخ عبدالعزيز ابن راشد في رمضان 1397هـ - 1977م.

الدعوة في القرى والبوادي

كنا في يوم الجمعة، وهو يوم إجازة ، نذهب للدعوة في القرى الموجودة في ضواحي مكة. كان الخطاب الدعوي وقتها يركز على البدع المنتشرة بين أهل هذه القرى، وكان غالباً يتولى هذه المهمة عبد الله الحربي. كنا نصلي معهم الجمعة أو يصلي بهم عبد الله الحربي. ولا توجد قرية قصدناها إلا ووجدنا جماعة التبليغ قد سبقتنا إليها، فهذه الجماعة لها نشاط ملموس بين العامة من أهل هذه القرى، وهم محبوبون عند أهلها لدماثة أخلاقهم وتواضعهم. ومن الملاحظ أن كثيراً من الإخوان كانوا في

جماعة التبليغ أصلاً قبل أن ينضموا إلى الجماعة السلفية المحتسبة، أو إلى الجماعة السلفية الموجودة في الكويت. وهناك مقولة متداولة وهي أنه لو قامت الدولة الإسلامية لكان أفراد جماعة التبليغ من عوام دولة الإسلام، والسلفيون من علمائها، و «الإخوان المسلمون» من ساستها. لا أذكر من هو صاحب هذه المقولة، لكني في فترة البدايات كنت معجباً بها، وكنت أرددها خصوصاً وأنني كنت وقتها من المتعاطفين مع التقريب بين الجماعات الإسلامية.

تعصب جهيمان لقبيلته

في أحد الأيام زارنا في مكة جهيمان، وبعد أن أدى مناسك العمرة جلس معنا في بيت الإخوان، وكانت الجلسة ذات طابع علمي، ثم طلب مني أن أصحبه في سفرة للدعوة، فوافقت، وكانت هذه أول رحلة طويلة لي خارج مكة. وأذكر أننا زرنا وقتها بعض قرى الحجاز مثل رهاط ومدركة، ثم ذهبنا إلى الطائف، ومنذ تلك السفرة لم أفارق جهيمان في أي سفرة سافرها للدعوة، قبل الاعتقال الأول.

لقد عرفت جهيمان عن قرب من خلال هذه السفرات، وتعلقت به، وأعجبني فيه كرمه وتواضعه ودماثة خلقه وتفانيه في العمل الدعوي، وكرهت فيه تعصبه لقبيلته عتيبة، وذكره لمثالب القبائل الأخرى، وأوقعني هذا الأمر في حيرة شديدة، فجهيمان بالرغم من أنه كان شديداً في خطابه الدعوي، إلا أنه ضعيف أمام رواسب القبلية عنده، فهو يمحص ويحقق

أحاديث الرسول، ويضعِّف أمام أخبار قبيلته، ويرويها كأمجاد مسلَّم بها، وإن كان فيها ظلم للآخرين.

من الأشياء التي كثيراً ما سمعتها من جهيمان، وسيكون لها دور في تشكيل أفعاله، قوله: «إن البدو يتميزون بقدرات خاصة لا يتمتع بها الحاضرة، مثل الفراسة وتحمل المشاق». هذا الكلام لم أسمعه بشكل عارض، أو لمرة واحدة، وإنما كان يردده كثيراً. كنت في تلك الفترة مفتوناً بمثل هذه الأفكار، ولكن بعد أن دخلت إلى السجن وخلوت بنفسي، وجدت أنها أفكار سطحية وغثة، ولا تصنع أمة حديثة بأي حال من الأحوال، أتفكر فيما لو وصلت هذه الفئة إلى رأس السلطة ماذا سيكون شكلها.

يخبرني جهيمان أنه ذهب إلى أحد المسؤولين عن الدعوة في دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، فلم يقابله هذا المسؤول بتواضع، وكان دائماً يردد قصة هذا اللقاء. ثم أخبرني أسامة عواد إبراهيم، وهو مصري قُبض عليه في قضية الحرم، أنه كان مع هذا الشخص الذي يذكره جهيمان دائماً، وأن جهيمان في أوائل سيطرته على الحرم وجد هذا الشخص أمامه، فأمر بسجنه في سجن الحرم هو ومجموعة معه. . وكان موقفه السابق مع جهيمان هو الجرم الذي استوجب سجنه. إنه مثال بسيط على ممارسة رجل على رأس الحركة، فما بالك بممارسات الرعاع والدهماء بعد ذلك.

من المعروف أن جهيمان نشأ في إحدى الهجر، التي أنشئت لاستقرار البدو والذين عرفوا، في ما بعد باسم الإخوان، «إخوان من طاع

الله». واسم هذه الهجرة «ساجر». وكان جميع البدو القاطنين في هذه الهجرة من الإخوان، الذين حاربوا مع الملك عبد العزيز بقيادة سلطان بن بجاد. وكان الإخوان يطلقون عليه لقب «سلطان الدين». ثم تمردوا على الملك عبد العزيز بسبب منهج التحديث، الذي انتهجه الملك، وحاربوه في وقعة «السبلة»، وهُزموا أمامه، واستسلم سلطان بن بجاد للملك عبد العزيز وتوفي بعد ذلك في السجن.

هذه الواقعة ولّدت شعوراً بالغبن عند الإخوان عموماً، وعند أهل ساجر خصوصاً، ونشأ جيل ورث بعضهم الضغينة للحكم القائم والتمرد عليه. فجهيمان مثلا كان يعمل في التهريب من الكويت قبل أن يتديَّن، كما أخبرني أحد المتقلين معي أنه كان يهرّب الدخان من الكويت مع جهيمان، ولم يكن الدخان ممنوعاً، وانما كانت الضرائب عليه باهظة والرقابة عليه شديدة في المنطقه الوسطى، عكس المنطقة الغربية والشرقية. وغالباً كانوا يهربون الدخان لصالح تجار معينين، يوفرون لهم أحيانا سيارات الفورد الحمراء. وقد نجد في شعر الكثير من الشعراء الشعبيين إشارات إلى ذلك.

مثل هذا المحيط المتمرد هو الذي كون نفسية جهيمان بن محمد بن سيف الضان، وجعله لا يدين بالولاء للنظام القائم، في فتراته المبكرة. توفي والد جهيمان محمد بن سيف الضان العتيبي في أوائل السبعينات في حادث دهس سيارة على طريق المدينة، وكان بصحبته في هذه السفرة جهيمان، وأما جده سيف فقد قتل مبكراً في خلاف قبلي قبل السبلة بمدة.

وليس صحيحاً ما جاء في مقدمة رسائل جهيمان (ص 15)، والتي كتبها الدكتور رفعت سيد أحمد من أن جد جهيمان قتل في السبلة، وأنه كان صديقاً حميماً لسلطان بن بجاد، ومن الذين نصحوه بعدم الاستسلام للملك عبد العزيز. ولكن جهيمان كان يرى أن قبيلته قد تقاعست عن أخذ الثأر من ابن سعود، انتقاماً لسلطان بن بجاد، وكثيراً ما كان يصرح بذلك.

تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة

في العام 1965 حدثت قصة تعرف بحادثة «تكسير الصور»[5]، في العام الذي تلاه تأسست «الجماعة السلفية المحتسبة» في سنة 1966، حيث اجتمع ستة من الإخوان فوق كثيب رمل في الحرة الشرقية بالمدينة المنورة، كان ذلك مساءً بعد صلاة العشاء، وقرروا أن يؤسسوا جماعة تقوم بأمور الدعوة والتذكير في المساجد والأماكن العامة. كانوا قد خرجوا جميعهم من عباءة جماعة التبليغ، ما عدا واحداً منهم قيل لي إنه من «الإخوان المسلمين»، كانوا غير راضين عن نهج جماعة التبليغ لقلة عنايتها بالتوحيد في دعوتها، كانوا يرونها جماعة متساهلة كثيراً في قضايا الولاء والبراء، وإنكار المنكر، ولا تدعو بهدي من الكتاب والسُّنَّة، وهؤلاء الستة هم: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وسليمان بن شتيوي، وناصر

---

(5) حيث قامت مجموعة من المحتسبين في المدينة المنورة بالهجوم على استوديوهات التصوير والمحلات التجارية وتكسير تماثيل العرض «المانوكانات»، لأنهم كانوا يرونها منكراً يجب تغييره، وكان من الإخوان من شارك فيها، وهي الحادثة التي كانت السبب في تأسيس «الجماعة السلفية». كما كان الهدف هو احتواء المتطوعين في جماعة يشرف عليها علماء دين موثوقون من الجماعة ومقربون من الحكم

بن حسين العمري الحربي، وسعد التميمي، وهناك اثنان لم أدركهما ولم أعرفهما، لأن أحدهما وهو يمني توفي في ظروف غريبة، إذ إنه ذهب إلى الدعوة سيراً على قدميه إلى منطقة بعيدة «يقال إنها منطقة النخيل» شرق المدينة، ووُجد ميتاً في أحد الآبار. أما الآخر فقد انفصل عن الجماعة مبكراً، لأنه من «الإخوان المسلمين»، ويبدو أن هذا الشخص كان يطمح إلى تجنيد مجموعة من السلفيين، فاصطدم بمواقف السلفيين الرافضة لفكرة التحزب الحركي، وكان جهيمان يتحدث عنه بصفته شخصاً عمل مع الإخوان السلفيين لهدف معين مخالف لما عليه الخط السلفي. هذا ما سمعته من جهيمان مباشرة.

ذهبت هذه المجموعة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، وأخبروه بقرارهم تكوين جماعة سلفية تنبذ التمذهب، وتدعو إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسُنَّة الصحيحة، وأنهم لا يهدفون من عملهم هذا إلى مطامع دنيوية، وأنهم يعرضون عليه منصب المرشد لهم والموجه، فوافق، وأخبروه أن اسمها سيكون الجماعة السلفية، فقال لهم: بما أنكم تحتسبون الأجر من الله، فليكن اسمها «الجماعة السلفية المحتسبة»، وهذا ماحصل.

لم تكن الجماعة سرية، بل كانت علنية بشكل مبالغ فيه ، حتى إن بعض الأوراق مطبوع عليها اسم الجماعة، وأنا أذكر، في حج سنة 1977 ميلادية، كان بيد حزام البهلول- وهو يمني من الإخوان، ثم تحول إلى «الإخوان المسلمين»- ميكرفون يعلن فيه انطلاق حملة حج الجماعة السلفية المحتسبة.

بيت الإخوان في الحرة الشرقية

ذهبت إلى الحرة الشرقية، في المدينة المنورة، حيث كان علي المزروعي وجهيمان، وحيث قيادة الإخوان، وسكنت في بيت الإخوان الجديد، وهو عبارة عن بيت صمّم على طراز الأربطة، حيث بني على الطراز العربي، وروعي فيه تعدد السكان. كانت الغرف تتسع لثلاثة طلاب. وهو من دورين في كل دور ثماني غرف محيطة بالفناء، وكان ملحقاً به مسجد. وقد بناه أحد المحسنين، ووضعه بتصرف الشيخ عبد العزيز بن باز. ووضعه الشيخ ابن باز تحت تصرف الإخوان بإشراف أبي بكر جابر الجزائري.

كانت بيوت الإخوان بمجملها في الحرة الشرقية. وقد بنيت بشكل عشوائي على أراضٍ استُملكت بوضع اليد عليها. وكانوا يقومون بالبناء في الليل بعيداً عن أعين مراقبي البلدية. وكان بعضهم يدفع الرشوة للمراقب، الذي يطّلع على عملية البناء غير النظامية، فتمددت الأحياء، وكثرت المباني وسيطر الإخوان على أحياء بكاملها. بحيث لا تجد من يبيع الدخان أو يشربه في هذه الأحياء، كما أن طريقة بناء هذه الأحياء تتيح لمن يضطر للهرب أن يهرب بسهولة. فلكل بيت بابان، أحدهما رئيسي للرجال غالباً، والآخر خلفي للنساء. يفتح الباب الخلفي على عدة بيوت بحيث تأخذ النساء حريتهن في الزيارات المنزلية. ثم استعملت هذه الأبواب الخلفية بعد ذلك للهرب، وقد هرب جهيمان من هذه الأبواب عندما لوحق في الاعتقال الأول، الذي تم في سنة 1398 هـ 1978. وذلك حديث آخر سنأتي عليه لاحقا.

تسللتُ لبيت جهيمان. وكان تحت المراقبة خال في أوائل سنة 1399 هـ 1978م لاستعادة أوراقي الثبوتية من الباب الخلفي. وقبل ذلك بمدة وجيزة أخرجنا بعض كتب جهيمان من الباب الخلفي أيضاً. وكان معي عبدالله الحربي. كل ذلك تم والبابان الرئيسيان الواقعان على الشارع مراقبان. ولم يتنبه أحد إلى وجود باب آخر. وحقيقة هم معذورون. أي القوات الأمنية. فلبيت جهيمان ثلاثة أبواب. اثنان منها على شارعين. والثالث يفتح على زقاق ضيق لا يسع المشي فيه إلا لشخص واحد. وهو الذي تستعمله النساء في تنقلاتهنَّ بين بيوت جاراتهن. وهو الذي دخلنا منه.

كان جدولي اليومي في المدينة مزدحماً. فاذا لم أكن مع جهيمان في رحلاته الدعوية. فغالبا كنت أدرس على علي المزروعي في كتاب «الرفع والتكميل». أو «بلوغ المرام». أوعلى مقبل ابن هادي الوادعي. وكنت أدرس عليه أصول البحث والتخريج.

تسرب الفكر التكفيري

ثم قرأت على فيصل محمد فيصل كتاب «الإيمان» لابن تيمية. وقد تكثفت القراءة في هذا الكتاب بعد أن تسلل الفكر التكفيري لبعض عناصر الإخوان. ولذلك سبب. وهو أن الإخوان قد التقوا ببعض الأفراد من جماعة التكفير والهجرة المصرية. جماعة مصطفى شكري المعروفة بين عناصرها باسم «جماعة المسلمين». فطرحوا بين الجماعة قضايا الحاكمية والموقف من الحكام وفعْلوها. وكان على رأسهم شخص عرف

بيننا بعبد الله المصري، وآخر اسمه أسامة القوصي، قدما للعمرة ثم تخلفا عن السفر، وجلسا، ثم استمالا معهم عدداً محدوداً من طلاب الجامعة الإسلامية من مصر، وبعض الطلاب اليمنيين.

كان فيصل محمد فيصل قد مر بمثل هذه الأفكار، وتبناها من قبل، وتحديداً في سنة 1977، حتى إنه ترك سكنى المدينة ونصب له خيمة مع عائلته في منطقة برية في الضواحي المدينة، وكان معه عصام شيخ، وانضم إليهم أحمد الزامل بعد ذلك، ولكنه لم يواصل معهم، وعاد للسكنى بين الإخوان في الحرة الشرقية، ثم عاد عصام وفيصل إلى المدينة.

كانت هذه الأفكار، التي بات يحملها فيصل، تؤرق مضجع جهيمان الذي لم يكن راضياً عنها، وصادف في أحد الأيام أن زار المدينة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فعرض له جهيمان المشكلة مع فيصل، فطلب الألباني لقاءه، وفعلاً تم لقاء في بيت فيصل محمد فيصل، بترتيب من جهيمان، وحضره يوسف أكبر، وجهيمان، وفيصل محمد فيصل، وعصام شيخ، والشيخ الألباني، وتم الحوار حول مسائل الحاكمية والفكر التكفيري، وعلاقة هذه الأطروحات بفكر الخوارج، وأن الكفر أنواع واستشهد الشيخ الألباني بكلام علماء السلف، مثل: أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم، وسجل يوسف أكبر هذه الجلسة على شريط كاسيت، وأثناء خروجهم من بيت فيصل أخذ جهيمان هذا الشريط على سبيل الاستعارة، حال خروجهم من بيت فيصل مباشرة، ولم يرجعه، ولم يُطلع عليه أحداً، وعلمت بعد ذلك من يوسف أكبر أن جهيمان قد أتلفه مباشرة. كانت وجهة

نظر جهيمان أن مشايخ السلطة يبحثون عن مثالب الإخوان. وهذا الشريط يعزز التهمة بأن الإخوان يحملون فكر الخوارج.

على كل حال خرج فيصل. بعد هذا اللقاء، بفكر جديد حول قضايا التكفير والإيمان. كانت أكثر اعتدالاً. داعياً إلى قراءة كتاب «الإيمان» لابن تيمية لتحصين الجماعة من الفكر التكفيري. وكان خير من يقرأ عليه كتب ابن تيمية هو فيصل محمد فيصل . كان الإخوان السلفيون يطلقون على فيصل محمد فيصل. ابن تيمية الصغير لحفظه فتاوى ابن تيمية وآرائه وتدريسه لها.

نزلاء بيت الإخوان

كان معي في بيت الإخوان. في تلك الفترة. أحمد حسن المعلم. وهو شاعر الجماعة من اليمن. وهو أهم شخص في بيت الإخوان. بل يكاد أن يكون المسؤول عن بيت الإخوان. كما أنه عضو في مجلس إدارة الإخوان. وكان يدرس في الجامعة الإسلامية. ومقرباً جداً من جهيمان. حتى إنه هو الذي صاغ رسائل جهيمان. وقام بتصحيحها مع محمد عبد الله القحطاني. المهدي المزعوم بعد ذلك. وكلاهما شاعر. وكان معي يوسف أكبر. وهو شاب من جدة. يدرس في كلية البترول والمعادن. ثم ترك الدراسة فيها. وكان معنا أيضاً عيد الشابحي. وأحمد بن محمد عبد الوهاب البنا. سألت أحمد: هل لهذا الأخير علاقة بحسن البنا؟ فقال إنه تشابه أسماء وليس لهم صلة بحسن البنا مؤسس جماعة «الإخوان المسلمين». وإنهم من قرية أخرى غير قرية حسن البنا..

أما والده الشيخ محمد عبد الوهاب البنا فمن مصر، من جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية، سكن المدينة وحصل على الجنسية السعودية، ثم منع من سكنى المدينة المنورة لمشاركته في حادثة تكسير الصور كما تقدم، فسكن جدة. كانوا مسجلين في الجامعة الإسلامية، وجميعهم تركوا الدراسة فيها ما عدا أحمد البنا، الذي أكمل في الجامعة الإسلامية، وأحمد هذا هو أول من سمعت منه عن جماعة شكري مصطفى، «التكفير والهجرة»، وأخبرني أنه تأثر بفكرهم قبل فترة وجيزة، وأنه كان يتبنى أطروحاتهم. حتى إنه لم يكن يصلي خلف أبيه في جدة. وقد التقى بهم في العطلة الصيفية إذ كان يقضيها بين أقربائه في مصر، وحينما عاد إلى جدة توقف عن الصلاة خلف أبيه، لأنه متوقف فيه حتى يتبين له إسلامه. ثم ناقش والده في هذا الأمر فأقنعه والده بخطأ ما يعتقد ويقول، فعاد عن رأيه.

أما عيد الشابحي فاندمج في الدعوة السلفية حتى النخاع، ثم تزوج بأخت محمد عبد الله القحطاني، ثم دخل الحرم مع من دخل. أما يوسف أكبر فترك الجامعة واندمج مع الإخوان، ثم اعتقل في قضية توزيع رسائل جهيمان، قبل دخول الحرم بفترة وجيزة. والغريب أن يوسف كان يعتقد أن محمد بن عبد الله القحطاني لم يمت، وإنما حُصر، وكان يجاهر بهذا القول، وهو في السجن، وهو أمر غريب. وكان معه على هذا الرأي الفلسطيني عبد الرحمن حمودة.

من الذين عاشرتهم في بيت الإخوان، وفي السجن بعد ذلك خالد الشريمي، وحقيقة لم أجد أحداً عنده نكران للذات، وسمي دائب في خدمة

الإخوان مثله، في الفترة الأخيرة، وقبل الانشقاق الأول، والذي خسر بسببه جهيمان وجناحه بيت الإخوان. كان بيت الإخوان يستقبل مجموعة من المرتادين للمدينة والمعتمرين المخالفين لنظام الإقامة، وكانوا بمجملهم من مصر وأغلبهم من الجماعة الإسلامية، من طلاب الجامعات المصرية. واتضح، لاحقاً أن بعضهم من جماعة الجهاد، وبعضهم من جماعة التكفير والهجرة، أو لهم علاقة بها. وكان أكثر ما يثار وقتها بينهم هو موقف السلفيين من سيد قطب، وموقفهم من تكفير الحاكم، وموقفهم من العمل لدى الدولة، وكانت تحدث سجالات طويلة عريضة بينهم وبين السلفيين من أصحاب البيت، حتى وصلوا إلى الشقاق والخلاف إلى درجة أن بعضهم صار يصلي جماعة أخرى، بعد صلاة الجماعة السلفية، هذا في حال لم يتقدم أحد منهم للإمامة.

وعلمت، في ما بعد، أنهم لا يرون الصلاة خلف من بينوا له منهجم، ولم ينضم إليهم، ويتبنى أفكارهم. كانت مجاميعهم تذهب وتجيء إلى بيت الإخوان السلفيين، ولم يشعر الإخوان بأي خطر تجاههم، واعتبروا خلافهم معهم خلافاً في الرأي لا يستدعي الشقاق، وأنهم مجتهدون. كان منهم شاب اسمه ماهر وهو مصري سبق وأن حاز على بطولة مصر في الكراتيه للناشئين، كان يدرب بعضهم على الكراتيه فوق سطح بيت الإخوان، وكنت أنضم إليهم في التدريب أحيانا، ولم نكن نشعر بنفرة منهم، وكان بعضهم يعمل عند عيد الشابحي، وذلك أن عيداً بعد أن ترك الدراسة في الجامعة الإسلامية، اشترى له حفاراً «كومبريشن»، وأصبح يعمل في الحفر، وكان السوق عليهم كريماً والطلب جيد، وكان بعض عماله من المصريين من مخالفي أنظمة الإقامة، ممن يأتون للعمرة أو الحج في الحفر باليومية.

صدام الجماعة مع الفقهاء

في عام 1978 بدأت الأزمة تشتد بين المشايخ والإخوان «الجماعة السلفية المحتسبة». بدأت هذه الأزمة منذ عام 1976 حينما أفتى علي المزروعي في الحرم المكي في رمضان بجواز الأكل بعد أذان الفجر. لأن الأذان لا يدل على دخول وقت الفجر المنهي عن الأكل فيه في رمضان. وإنما يدل على دخول وقت صلاة الفجر. وتبع ذلك حوار وجدل جر إلى التعريف بموقف الإخوان من الرأي والتشدد في نبذ التمذهب واتباع المذاهب الأربعة. كان هذا الخطاب وقتها جديداً، وغير مطروق على المستوى العام، ولم يكن المشايخ الذين ناقشوا علي المزروعي مستعدين للإجابة على أسئلته، التي أوردها عليهم بخصوص الاجتهاد والتقليد.

كان الوضع أشبه بالمفاجأة غير المحضر لها وغير المنتظرة، وأظهرت المناقشات وقتها مدى جمود أغلب المشايخ وطلاب العلم على متون الفقه الحنبلي. وبعدهم عن كتب السنّة وعلم الحديث ومصطلح الحديث. وكان من النادر أن تجد من يملك أدوات تخريج الحديث وتحقيقه. هذه الجلسات كانت السبب في منع علي المزروعي من التدريس في الحرم. وهي السبب بعد ذلك في وضع الإخوان موضع الملاحظة الدقيقة من قبل جمهور المشايخ. في تلك الفترة خصوصا. كما أن بعض المنتسبين للإخوان كانوا لا يستفتون شيخاً إلا ويطلبون منه الدليل، فإذا جاء بالدليل من السُنَّة سألوه هل هو صحيح أو ضعيف، ومثل هذه الأسئلة يضيق بها صدر المفتي المقتصر اطلاعه على «زاد المستقنع» في الفقه الحنبلي. وهم الأغلبية.

لقد كسر الإخوان حاجز الهيبة بين المفتي والمستفتي، وكانوا عاملاً في كسر احتكار العلم الشرعي لفئة من الفقهاء وأساتذة الجامعات. يمكن القول إن الإخوان «جمهرواء العلم وجعلوه شعبياً. وبثوا روح المحاججة بين العوام. ومثل هذا الأثر سيكون له مردود سيئ على مسلك عوام المتدينين، وظهر أثره على عوام الصحوة بعد ذلك من خلال المواقف والأراء. وبعد أن كان العلماء يحتكرون التأثير على العامة، أصبح العامة يحركون العلماء نحو أهدافهم. أي أصبح التأثير متبادلاً بينهم.

كما أن من الأمور التي نفرت قلوب المشايخ من الجماعة السلفية هو تبنيهم بعض الفتاوى. مثل القول بأن «الصلاة خير من النوم» تكون في الأذان الأول من الفجر وليس الثاني. وهو المعروف بـ «التثويب». وأخذوا يؤذنون به في مسجد الإخوان في الحرة الشرقية في المدينة والمساجد التي يسيطرون عليها. وكذلك مسألة بدعية المحاريب. وأنها لم توجد إلا بعد عصر النبوة. فأغلق بعضهم المحراب الموجود في مسجده، وأصبح أغلب أئمتهم لا يصلون فيها لقناعتهم بأنها بدعة. ومنها صلاة بعض صغار طلبة العلم من الجماعة بالنعال في المسجد النبوي، وقد استفز ذلك العامة عليهم. كل هذه الأشياء جعلت المشايخ الحنابلة يرمونهم بالشذوذ والتنطع في الدين.

هذه الأشياء حدثت قبل عام 1978، وكان جهيمان يتبناها.

انشقاق داخل الجماعة

كما أن جفاءً قد حصل مبكراً بين جهيمان واثنين من مؤسسي الجماعة، وهما: سليمان بن شتيوي. وسعد التميمي. وسببه أن جهيمان

تفرد بالجماعة وأصبح يستبد بقراراتها، مثل دعوته إلى إعلان البراءة ممن يسيء لخط سير الجماعة الدعوي. كان سليمان وسعد يعملان مدرسين موظفين في الحكومة، و كان جهيمان ضد الوظائف الحكومية، وضد التعليم الرسمي، وكان يعلن لهم، بشكل مباشر وغير مباشر، موقفه هذا، فنفروا منه كما نفر منه فالح بن نافع الحربي بعد تخرجه من الجامعة الإسلامية، لأن الأخير عمل في الحكومة. علماً أن فالح صمت عن هذا الموقف من الوظائف، ومن ممارسات الإخوان طيلة الفترة التي كان يدرس فيها طالباً، وكانت الجماعة تساعده ببعض الإعانات المالية، ثم لما توظف بدأ يعترض على الممارسات الشاذة والاستفزازية، التي كان يمارسها الإخوان، وأصبح يتودد للعلماء والمشايخ، وطرد بعد ذلك من بيت فيصل محمد فيصل، بعد نقاش حاد بينه وفيصل وعصام شيخ.

كانت تلك السنة ساخنة بمعنى الكلمة، وعقد اجتماع تحدث فيه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، وبحضور مجموعة من المشايخ، وحضره من الإخوان: ناصر بن حسين، وأحمد حسن المعلم، وسعد التميمي، وفالح بن نافع، وأحمد الزامل، ومن كان ساكناً في بيت الإخوان مثلي، وملخص تلك الجلسة هو التبرؤ من الأفكار الشاذة، التي ذكرناها قبل، وأنه يجب أن يؤذن ب «الصلاة خير من النوم» في الأذان الثاني، كما هو المعمول به في السعودية وفي الحرمين، وأن من لم يعجبه ذلك يخرج من بيت الإخوان. تقرر أن الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، نائب المرشد الشيخ عبدالعزيز بن باز، هو الذي سيتولى الإشراف المباشر على البيت، وفعلاً أصبح يأتي نسيب الجزائري فيؤذن في مسجد الإخوان في الأذان الأول والثاني لصلاة الفجر ويؤم فيه.

أما نحن فقد تركنا بيت الإخوان واحداً تلو الآخر. ولم يبق في البيت ممن ذكرناهم أحد. هذه الواقعة تعتبر أول انشقاق بين صفوف الإخوان بشكل جماعي، وانحاز هنا أغلب الإخوان، وبشكل واضح إلى صف جهيمان، وأصبح هو القائد المطلق لجميع أفراد الجماعة، وأصبح بيته مكان تجمع الإخوان، علماً أن جهيمان قد كثف من رحلاته الدعوية، في هذه الفترة، وأنا كنت معه في أغلبها، زرنا خلالها جميع مناطق المملكة، ويبدو أن هذا الاجتماع لتبرئة النفس أو للتبري من الجماعة، أكثر منه سعياً صادقاً لتصحيح الخط المتطرف للجماعة، وإلا ما معنى أن تجتمع مجموعة من المشايخ بمجموعة من الشباب، محدودي العدد والأهمية، ويقرروا سحب البيت من الإخوان، وهل الإخوان هم بيت الحرة فقط؟!

كان وقتها في كل بلد بيت، في الرياض وجدة ومكة والطائف ورنية وحائل والإحساء، كل هذه المراكز لم تعلم بالاجتماع، وحين علمت دانت بالولاء لجهيمان، لم يكن لهذا الاجتماع أية فاعلية في تصحيح أوضاع التنظيم، بل بالعكس زادت الأمر سوءاً، ووضعت جهيمان موضع القائد الفعلي والمطلق. على كل حال كان هم الجزائري الأول هو الخروج من ورطة قيادة هذه الجماعة العصية على التطويع من قبله: إذ لم يكن له فيها إلا اسم المرشد.

أما العمل التنظيمي الفعلي والأفكار فكانت بيد جهيمان. وكما قلت تكثفت رحلات جهيمان وتكثف خطابه ضد الدولة والوظائف الحكومية، وأصبح من العيب أن تكون من الإخوان، وأن تعمل في الدولة. وامتد الخطاب المعادي للوظيفة إلى الدراسة في مدارس الحكومة، وسادت قناعة بين هذه

الفئة بأن العلم الشرعي يمكن تحصيله عن طريق الكتب والمشايخ، واشتد النكير على من يحرص على العلوم البحتة. لهذا انضم للجماعة مجموعة من المراهقين الهاربين من أهاليهم، بسبب الدراسة بشكل رئيسي، وبذريعة وجود الفتن في بيوت أهاليهم، مثل التلفزيون والصور، وآوتهم الجماعة في كل مكان.

هروب جهيمان

في أحد الأيام صليت الظهر مع جهيمان، في المسجد القريب من بيته كالمعتاد، ثم تغدينا وجلسنا في الحوش الخارجي جهة مدخل الرجال، والذي يفتح على الشارع نشرب الشاي ونبحث في أحد الكتب، وإذا بجمس أحمر عليه شمار إمارة المدينة ورجل ينادي: «يا أبو هذال»، وهذال هو أكبر أبناء جهيمان، فخرج له جهيمان وتحدث معه لدقائق، ثم سار الجمس وعاد جهيمان متغير اللون، وقال لي: إن هذا رجل من الجماعة يعني أنه من قبيلته، وقد أخبرني عن وصول برقية من الرياض إلى الإمارة بأسماء مجموعة سوف تعتقل هذه الليلة، وأن جهيمان على رأس القائمة، وأن طريقة القبض عليه كانت بالترتيب مع شخص لم يشاهده جهيمان من قبل بأن يقوم بمصافحته بعد صلاة العصر لتأكيد هويته.

صلينا العصر وسلم عليه رجل لم نشاهده من قبل في الحرة الشرقية، ووقف معه وكأنه يسأله في مسألة فقهية، ثم عدنا سويةً إلى البيت، وبلغ مجموعة من الإخوان بالخبر، ثم خرج جهيمان يتحدث مع

دهام العنزي، ثم عاد وقال: هل تريد أن تخرج معي حتى انجلاء هذه الغمة؟ فوافقت وركبت أنا وهو في وانيت دهام، وانطلقنا بعد العصر وتجنبنا الطرق المسفلتة وسلكنا طرقاً برية، حتى لا نتعرض لنقاط التفتيش إمعانا في الحذر، وسلكنا طريقاً برياً يعرفه دهام جيداً، وتوغلنا في الصحراء، وحقيقة لا أذكر الطريق الذي سلكناه إلا أننا سلكنا طريقاً يقع شرق شمال المدينة، وقضينا ثلاث ليالٍ في الصحراء، واصطدنا بعض الضبان وطبخناها وأكلناها، إلا أن جهيمان كان يعيش لحظات قلق، وكان يريد أن يطلع على أخبار الاعتقالات، وهل تمت بالفعل، ومن اعتقل من الجماعة.

اقترح دهام أن ننزل على عبيد وعابد، وهم من الإخوان من أهل المحلاني في الشمال الغربي من القصيم على طريق المدينة المنورة، وكانوا بادية يرعون غنمهم ويسكنون الخيام، فتوجهنا إلى مخيمهم شمالاً، وسأل دهام عنهم بعض البدو القاطنين في بيوت الشعر، واستطاع العثور عليهم، وأبلغ عبيداً وعابداً بالأمر، ولم يكن عندهم علم بالتطورات الأمنية، وطلب جهيمان ألا يتردد اسمه بينهم، وفعلاً أصبحنا نناديه بـ «أبو محمد»، وطلب من عبيد أن ينزل للقصيم، لكي يأتي بالأخبار.

نزل عبيد للقصيم، وبقينا نحن مع عابد ننتظره، وحقيقة كانوا أناساً كرماء قليلي الأسئلة، يعلمون أبناءهم في الصحراء القرآن والكتابة والقراءة بكل جدارة، ويتبعون في التعليم مصطلحات البيئة المحيطة بهم نفسها، من غير تكلف أو افتعال، وهم يميلون للزهد والتقشف في حياتهم

ومعاشهم، معهم أغنامهم، ووانيت يجلبون به الماء لهم ولأغنامهم، معتزلين بذلك المدن لأنهم يرون أن الفساد والفتن قد كثرت فيها وعمّت.

انتظرنا عدة أيام حتى عاد عبيد من القصيم محملا بالأخبار، وأبلغنا عمن اعتقل في جميع مناطق المملكة، وكانوا خمسة وعشرين تقريباً، منهم علي المزروعي، ومقبل بن هادي الوادعي، وسليمان بن شتيوي في المدينة المنورة، والشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي، وعايض بن دريميح في مكة المكرمة، ومحمد الحيدري، ومحمد عبد الله القحطاني، (المهدي)، في الرياض، وعمر العليط في بريدة، وردن في ساجر، وكان البحث جارياً عن جهيمان، وكانت مزرعة أخيه نايف مراقبة على مدار الساعة، وكذلك كان أحمد حسن المعلم مطلوباً ولم يقبض عليه.

أتتنا هذه الأخبار فأصبنا بوجوم، وخصوصاً جهيمان الذي كان قلقا على أمه، وبعد أيام قال لي جهيمان: أنت لست من المطلوبين، والأفضل أن ننفصل، فاخترت البقاء مع عبيد ضيوفاً عند علي الحضيني في مزرعته في قرية العمار جنوب القصيم، والتي تبعد عن ساجر مسقط رأس جهيمان تقريبا مئة كيلومتر شمالاً، وكان سبب نزول عبيد هو طمأنة أم جهيمان عن طريق علي الحضيني، وجدت عند علي الحضيني أحمد الزامل ومطلق بن سهل، وأخبرنا علي بأن ساجر جميعها مراقبة، وأن هناك مراقبة على بيت نايف، الأخ الأكبر لجهيمان، على مدار الساعة، وأن الأمن قد نصبوا خيمة في مزرعته يراقبون منها.

ركبنا في وانيت جمس نحن الثلاثة، مع أحد معارف مطلق، وانطلقنا نحو ساجر بعد العصر، كنت أنا وأحمد الزامل في حوض الجمس،

ومطلق مع السائق. وعند اقترابنا من ساجر حصل لنا حادث تصادم مع وانيت تويوتا. ونزلنا نشاهد الحادث، ووصل الأمر إلى أنهم طلبوا من أحد المارة تبليغ الدوريات عن الحادث. وركبنا نحن الثلاثة، مع هذا الشخص، حيث أنزلنا في ساجر وبقي معه مطلق. أما أنا، وأحمد الزامل، فقد مشينا مسافة حتى وصلنا إلى الشعيب. ونزولاً عند اقتراح أحمد بقينا في الشعيب حتى حل الظلام، ثم توجهنا إلى بيت أحد الإخوان، وهو مدوخ العتيبي، وكان هو وأخوه مشعل من الإخوان، وبتنا عنده ليلتنا، ثم توجهنا في الصباح الباكر إلى الرياض فدخلتها بعد اعتقال الإخوان بخمسة عشر يوما تقريبا.

السجن في سبيل الدعوة

كان الجو العام ما بين ساخط ومتعاطف. كانت هذه الاعتقالات الجماعية هي الأولى من نوعها في المملكة وقتها إذ لم يحدث أن اعتقلت جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي من قبل، ومن الأسباب التي لمستها في سبب ابتهاج الشباب السلفيين، أنه أصبح لهم صلة بالمعتقلات التي كانت حكراً على «الإخوان المسلمين»، وكما قال أحد الإخوة من السلفيين: لم يعد أحد أحسن من أحد، فكما أن من بين «الإخوان المسلمين» من دخل المعتقلات، فعندنا نحن الجماعة السلفية الآن من دخل المعتقلات في سبيل الدعوة إلى الله.

كانت الرياض بجماعاتها الإسلامية تموج بالأسئلة، التي تبحث عن إجابات، وعن مصير المعتقلين. وعلمت عن طريق أحد الإخوان السلفيين، أن هناك وساطات من قبل بعض المشايخ قد تحركت، وبعد

أسبوعين دُعينا إلى اجتماع عام نظمه أحمد المعلم. في البرّ على طريق الرياض المجمعة. وحضرته مجموعة كبيرة من الإخوان. وتكلم أحمد حسن المعلم عن الذي حصل مع السلفيين من اعتقالات. وأن هذا ابتلاء من الله ليختبر عباده.

كان أحمد المعلم هو أكبر قيادي في المجموعة. فهو عضو مجلس الشورى في الجماعة، وهو الذي بقي مع جهيمان منهم. وأثناء ما كان أحمد المعلم يتكلم والإخوان منصتون لكلامه، وقفت إلى جانب المجموعة سيارة وانيت. ونزل منها محمد الحيدري. أمير الإخوان في الرياض. وهو من الذين اعتقلوا. وأخبرنا أن الإخوان أطلق سراحهم. وطلب منا أن نفض هذا الاجتماع. وأنه أخذ عليه تعهداً بعدم التجمع والتحزب. وفهمنا من كلامه، أنه لم يعد منضماً إلى الإخوان. وحقيقة كان موقفه شجاعاً في تلك اللحظة وتلك الظروف. ولم أقابله بعدها في أي مكان حتى هذه الساعة.

وهكذا أصبحنا بعد ذلك نستقصي أخبار من اعتقل وأفرج عنه، وعلمنا أن مقبل بن هادي الوادعي قد أفرج عنه مع الإبعاد عن المملكة، وسمحت له الحكومة أن يناقش رسالته للماجستير ثم يسافر بعدها، وقد كان ذلك بعد شهرين تقريباً من خروجه من السجن. وقد حضرت مناقشة رسالته في الجامعة الإسلامية، وكانت في كتاب «الإلزامات والتتبع» للدارقطني. في تلك الفترة انتعش حال الجماعة السلفية، وانضم إلى صفوفهم مجاميع من الشباب، حتى إن بعض من تحول من «الإخوان المسلمين» إلى الإخوان السلفيين أصبح ملء السمع والبصر بين الناس. فالاعتقال صنع منهم أبطالا، وصبغهم بصبغة مغناطيسية. فكان الجميع

ينجذب إليهم، ومن لم يكن مقتنعاً بأفكار الجماعة كان يدفعه الفضول لمتابعتها ومتابعة أفكارها، وزاد هذا الأمر، وبوتيرة متسارعة، بعد توزيع أول رسالة كتبها جهيمان، ويلخص فيها أفكاره كما سيأتي.

في هذه الفترة توطدت علاقتي بالشيخ عبد العزيز بن باز، عن طريق خالد الشريمي، فطلبنا منه أن يعمل لنا درساً في سنن الترمذي، وقد كان ذلك، فأخذنا ندرس عليه بعد صلاة الفجر أنا وخالد الشريمي وعبد العزيز السدحان، إضافة إلى طلاب علم آخرين يقرأون على الشيخ كتباً أخرى، وكنت أحضر تجمعات الإخوان في بيت الإخوان أو في بيت أحدهم.

رسائل الجماعة

في أحد الأيام التقيت بعبد اللطيف الدرباس، وهو من الإخوان، الذين أعرفهم بشكل جيد ويحمل الجنسية الكويتية، وقد أحرق أوراقه الثبوتية مبكراً وسكن المدينة، ثم اتخذ له خيمة في الصحراء، وبالرغم من أنه حضري أصلاً إلا أنه يمجد حياة البداوة بشكل فيه جلافة متكلفة، وهذه طبيعة الطارئين على التحول سواء كان دينياً أو اجتماعياً، حيث تجدهم لاهثين لإثبات جدارتهم بالموقع الجديد الذي وصلوا إليه، وقد ذكر لي عبد العزيز السدحان أنه كان في مخيمهم في الكويت، وكان معه عبد اللطيف الدرباس، وقد وضع الفطور، وكأن أحدهم استنكف أو اشمأز من الطعام، فقام الدرباس كرد على هذا الشخص بذر التراب في الفطور، وقال لهم: كلوا، فرد عليه عبد العزيز السدحان بأن هذا مخالف للسُنَّة، فقال له: ما دليلك؟ فذكر له قول الرسول للذي وقعت منه التمرة «أمط عنها الأذى وكل» فسماه أذى، فقال له الدرباس أنتم تريدون أن تلبسوا علينا ديننا!

على كل حال ذكر لي عبداللطيف الدرباس أن جهيمان قد ألف رسالة عنوانها «رفع الالتباس عن ملة إبراهيم عليه السلام». وأنه سيطبعها في الكويت، وأنه، أي عبد اللطيف، ذهب بها إلى دار القبس أولاً، فطلبوا مبلغاً مرتفعاً، ثم ذهب بها إلى دار الطليعة ذات التوجه اليساري، وحينما أخبرهم الدرباس بملابسات تأليفها، وأن مؤلفها مطارد من قبل الأمن السعودي، تحمست الدار وطبعتها بسعر التكلفة، أي أقل من الريال للنسخة، علما أن دار القبس طلبت منهم ثلاثة ريالات تقريباً للنسخة. طُبعت الرسالة وطلب الإخوان من دار الطليعة أن لا تذكر اسم أو مكان المطابع . وهذا ماحصل، وطبعت الرسالة والرسائل الأخرى بعد ذلك في الدار نفسها.

حصلت بعض الأخطاء الخطيرة، مثل أن بعض الطبعات ذكر فيها اسم دار الطليعة ومكان الطباعة الكويت في ذيل الغلاف، فعمد الإخوان إلى قص الاسم بالموس من جميع النسخ، والسبب في حرصهم على عدم ذكر اسم المطبعة أو مكان الطباعة، هو أنهم حريصون على تأمين الطرق البرية الترابية بين الكويت والسعودية، عن طريق حفر الباطن، والتي يسلكها مهربو الرسائل من الكويت إلى داخل المملكة، وكذلك مرور الإخوان الذين لا يحملون أوراقاً ثبوتية أو جوازات إلى الكويت ومنها. وكانت الأغلبية العظمى من الإخوان قد أتلفت أوراقها الثبوتية لأنهم يحرمون الصورة الضوئية واستخداماتها، ولموقفهم من الأنظمة القائمة، إذ يرون أن وضع الحدود بين الدول وتقييدهم بجوازات المرور هو من حكم الطاغوت، ومما لم يأمر به الله، والأولى بالمسلم عدم الامتثال له، بل الأولى مخالفته.

وبعد مدة جاءني عقاب العتيبي وقال لي: «إن مطلق بن سهل يريد أن يراك»، وفعلا توجهت لساجر مع أحد الإخوان، ووصلت لساجر، وتوجهت لمزرعة مطلق، وهناك وجدت عنده شخصاً مشكوكاً بصدق انتمائه إلى الجماعة، وتدور الشكوك حوله بأنه عين للمباحث. وكان عند مطلق بعائلته وأظن أن اسمه أحمد اللهيبي، وأخذني مطلق جانباً وأسر لي: أن جهيمان يريد أن يراني وسنرتب لك اللقاء به، فيما بعد. هو الآن غير موجود. وبعد ليلتين أيقظني مطلق من النوم، وكانت الساعة الثانية تقريباً، وقال لي: تعال وذهبت معه في الجمس لبيت عقاب، وفي الحوش الخلفي وجدت عقاب وعيد الشابحي وحامد الأحمدي يتسامرون، وبعد السلام جلست معهم نتجاذب أطراف الحديث.

وبعد ساعات جاء جهيمان، وبعد السلام والتحية دخلنا إلى إحدى الغرف الكبيرة، وجلسنا على بساط، وكانت الغرفة ملأى بأكياس حمراء إلى سقفها، ظننتها أولاً أكياس بصل، وبعدها علمت أنها رسالة «رفع الالتباس». ورأيت مع جهيمان نسخة منها وأختاماً بمقدار السطرين كان يراجعها، ثم قال لي: إن هذه الرسالة قد قرأت على الشيخ عبد العزيز بن باز، وقد أضاف لها فقرة، بعد طباعتها فرأوا أن يضيفوها في المكان المقرر لإصرار الشيخ عبد العزيز بن باز عليها، لهذا صُنعت أختام بهذه الفقرة لأنه ليس من السهل إعادة طباعتها، فجلست أتحدث معهم وشاركتهم في وضع الختم على النسخ المعدة للتوزيع.

قال لي جهيمان: من الضروري أن تعتمر، وتحثُّ الإخوان في الرياض على العمرة في رمضان هذه السنة، لأنك ستستلم الكمية التي

ستوزع في الحرم ليلة سبع وعشرين، وستجد الإخوان أمامك. ثم استأذن وانصرف، وبعد ذلك جاء مطلق وأخذني إلى مزرعته، ومنها عدت إلى الرياض، وأخبرت بعض الإخوان الذين أثق بهم. واعتمرت في رمضان ووجدت الإخوان قد استأجروا عمارة كاملة بعوائلهم، وفي الدور الأرضي وجدت كمية كبيرة من أكياس البصل الحمراء في إحدى الغرف. وحينما حلت علينا ليلة سبع وعشرين، أخذت الكمية المتفق عليها إلى الحرم، وكانت هناك كمية أرسلت إلى الطائف، إلى جدة، وكمية ذهبت إلى المدينة مبكراً، ووزعت الكمية على الإخوان النازلين إلى الحرم، وخزنا كمية في خلوات المسجد مبكراً، وفي الركعة الأخيرة قمنا بتوزيعها أمام المصلين، وفي التوقيت نفسه تم ذلك في جميع أنحاء المملكة، وكانت تحمل اسم جهيمان الصريح.

كان هناك شباب تبرعوا بتوزيع الرسالة، وهم ليسوا من الإخوان، وأكاد أجزم أن هناك مجموعة ساعدت في التوزيع، وهي تجهل ماذا توزع ومن هو جهيمان. وبعد صلاة الفجر جلست في الحرم، فوجدت الناس يتصفحونها ثم عدت إلى الرياض، وكتب الشيخ بديع بن إحسان الله الراشدي رداً على الرسالة يقول فيه: «إن ملة إبراهيم ليس فيها التباس»، أظنه نشر الرد في جريدة «الندوة»، فانفض من حوله الإخوان، وهذا مما سرع بعودته إلى وطنه الباكستان.

عبدالعزيز بن باز وجهيمان

في هذه الفترة انتظمت أكثر في دروس الشيخ عبد العزيز بن باز، وأصبحت أشعر أن أمر الإخوان في طريقه إلى الفوضى، فحاولت أن

أنظم نفسي. وفي أحد الأيام مرَّ علينا في الرياض أحمد الزامل، وطلب مني مرافقته إلى الطائف، وكان معه عائلته، واستأجر بيتاً في الطائف، وذهبت معه من غير أن أستفسر، لأنني أعلم أن جهيمان هو من طلبني، وذهبت معه، وهناك لم ألتق بجهيمان إلا بعد ثلاثة أيام. وبعد السلام عاتبني جهيمان عتاباً شديداً، وقال لي: ماذا تريدون من الشيخ ابن باز؟ هذا الشيخ قد فقد بصره وبصيرته، وأنتم تلتفون حوله، هذا من شيوخ آل سعود، وقد حذرنا منه الشيخ الألباني في جلسة خاصة مشافهة، حيث قال: «إن الشيخ ابن باز من الممكن خداعه بسهولة، فلا تعولوا عليه في القضايا التي تمس بأمن الجماعة، وهو سبق أن ورطنا».

كنت أسمع هذا الكلام وأنا لا أجرؤ على دفعه، أو الرد عليه، وانفض اللقاء بعد يومين وعدت إلى الرياض، وعدت إلى الدراسة على الشيخ مع مجموعة من الشباب منهم خالد الشريمي. وفي أحد الأيام التقيت بأحمد الزامل فقال لي: جهيمان يقول لك: «لماذا لا زلتم تدرسون على ابن باز»؟ فسكتُّ ولعلَّ هذا الموقف مني، ومن مجموعة من الإخوان الذين التفوا حول الشيخ ابن باز كان في صالحنا لاحقاً، إذ لم نقتنع بفكرة المهدي، وما تبعها بعد ذلك من تبعات، كان منها حمل السلاح في الحرم، وإطلاق النار.

على الرغم من هذا الضغط، الذي مورس علي بسبب دراستي على ابن باز، إلا أن علاقتي بالإخوان لم تنقطع، بل توطدت، ولم أورط نفسي في توزيع الرسائل التي صدرت بعد ذلك، وهي إحدى عشرة رسالة، المجموعة الأولى في أربع رسائل ، ثم سبع رسائل أخرى، ولم يعد جهيمان

يطلبني إلى أن قال لي أحد الإخوان: إنهم سيذهبون إلى المدينة. «فهل ترغب بمصاحبتنا»؟ هذه المرة لم أشعر أن هناك ترتيباً للقاء جهيمان، وفعلاً سافرنا إلى المدينة، وعند وصولنا إلى جبل طمية فضل أحد الإخوان أن نستريح في ظل الجبل قليلاً. وفعلاً نزلنا وأنزلنا ما نجلس عليه، وعملنا الشاي، وإذا بوانيت ياباني يقف عندنا، وإذا بأحمد المعلم ينزل منه، وكان مطلوباً، وكنت أظنه في الكويت.

وبعد السلام أخبرنا أنه وبعض الإخوان مقيمون خلف الجبل، وحينما صعدنا إلى مكانهم وجدنا جهيمان ومحمد عبد الله القحطاني، وسلمنا عليهم وشعرت وقتها أن جهيمان ليس كعادته معي من حيث الانبساط والمجاملة، وكنت أعلم السبب، وكانت طريقته في توجيه الكلام لي غير مباشرة، وهي الطريقة المتبعة لديه إذا أراد أن يبكت أفكاراً أو مواقف معينة. فإذا اعترضت قال: أنا لم أوجه الكلام لك. وهكذا يستفزك من غير أن تستطيع الرد، فأنت تعلم أنه يقصدك ومن يوجه له الكلام يعلم ذلك وبعض الحضور، وهذا المسلك هو الذي أبعد سليمان بن شتيوي عن الجماعة.

كانت الاجتماع مع جهيمان من أجل صياغة رسائله، التي سيطبعونها. وكان المسؤول عن الصياغة كل من محمد عبد الله القحطاني، وأحمد حسن المعلم. وهذان الاثنان هما من كانا في الأغلب من يقوم بكتابة رسائل جهيمان، فكلاهما شاعر وكلاهما متمكن من اللغة العربية، على العكس من جهيمان، الذي كان ينفر من تعلم النحو والصرف والإملاء مبكراً، بل كان ينقل هذا النبذ لمن حوله. وكثيراً ما قيل إن جهيمان من

خريجي الجامعة الإسلامية، أو إنه من طلاب دار الحديث في المدينة المنورة. والحقيقة أن تحصيل جهيمان الدراسي لم يتجاوز الصف الرابع الابتدائي. وسبب دراسته لها هو أنه كان يطمح بترقية في مهنته كسواق وانيت في الحرس الوطني. هذه هي الحقيقة وما عدا ذلك فتخرصات، وجميع من استند إلى ذلك يقول كيف يمكن لشخص لم يتجاوز تعليمه السنة الرابعة الإبتدائي أن يكتب هذه الرسائل؟!

الحقيقة أن جهيمان كان يملي هذه الرسائل . ولم يكن حتى يدونها كمسودات، فقد كان نفوراً من الكتابة لرداءة خطه. وكما قلت: كان يمليها كأفكار، ومن ثم يقوم بصياغتها أحمد المعلم أو محمد عبد الله القحطاني، وقد ساعدت جهيمان ذاكرة حديدية، تسعفه في استحضار إحالاته ونقولاته حينما يحتاج ذلك.

الأحلام المبشرة بالمهدي

في عام 1399هـ/1979م كثر الحديث عن تواتر الرؤى، وأن البشرية تعيش لحظاتها الأخيرة قبل القيامة . هذه القناعة كانت حاضرة بشكل ملفت. قبل هذا التاريخ بمدة، كانت مجالس الجماعة قبل الاعتقال الأول يتخللها أسئلة عن آخر الزمان، وعن تأويل الرؤيا التي يراها البعض، وبما أن الجماعة كانت على يقين أننا في آخر الزمان، فقد كانت تصمد خطابها نحو سيناريو مفترض، وهو أن آخر الزمان موعد ظهور المهدي، ومن علامات خروجه تواتر الرؤيا حوله، وشكلت هذه القضية هوساً لنا جميعاً بين أفراد الجماعة.

يجب هنا أن نسلط الضوء على فكرة العلامات، أو الفتن وأشراط الساعة عند جهيمان. يقول جهيمان في مستهل رسالته «الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة»، وعنوان الرسالة هو الترتيب أو السيناريو المفترض للأحداث، التي ستقع. والذي سيفصّله جهيمان، وهو ترتيب مهم، كما سيتضح لنا بعد ذلك. يقول جهيمان: «... بذلت وسعي في جمع أحاديث مما صح من أحاديث الفتن وأشراط الساعة، لعظم الحاجة إليها اليوم، وقمت بترتيبها حسب أزمنة وأمكنة وقوعها، مع الحرص على التوفيق بين النصوص، والجمع بينها وإخراجها في صورة متكاملة لتتم بذلك الفائدة...»[6] ثم يقول جهيمان معللاً سبب جمعه: «... وقد سبق إلى الجمع والتأليف في هذا الموضوع ... كثير من أهل العلم، ولكنني لاحظت في ما كتبوا أمرين هامين:

الأمر الأول: عدم الاقتصار على الصحيح من ذلك، بل جمعوا بين الصحيح والضعيف ومعلوم أن ديننا لابد أن يصح ثبوته لنعتقده ونعمل به.

الأمر الثاني: عدم التوفيق والربط بين دلالتها وتطبيقها على الواقع الذي وردت فيه.

لذلك يجد القارئ في تلك الكتب شيئاً من التعارض، بل في بعض المواضع لايكاد أن يفقه ما دلت عليه – مع أنهم يعذرون في عدم معرفة ذلك لأنهم لم يروا ما رأينا»[7].

---

(6) رسالة الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة. جهيمان ضمن مجموعة السبع رسائل ص 3.
(7) المصدر السابق ص 3

كنت وقتها معهم جسداً، دون قناعة فكرية بما أصبح يتردد، وازداد الأمر سوءاً بالنسبة إلي حينما طُرحتْ مسألة المهدي المنتظر وتحديده بمحمد بن عبد الله القحطاني، وما يتردد من حث الجماعة بعضهم بعضاً على تملك السلاح وحيازته، لأمر افترضوا حتمية وقوعه لا محالة، وامتزج القدري بالمسلكي حتى صعب التفريق بينهما عندهم. وهكذا سارت المجموعة نحو الكارثة. كانت أجواء الجماعة في تلك الفترة ملبدة بأفكار الخلاص والمهدي والمنامات والرؤى.

«المهدي» محمد بن عبدالله

التقيت بمحمد بن عبد الله القحطاني، في تلك الفترة، وسألته هل أنت مقتنع فعلاً أنك المهدي المنتظر؟ فقال لي: «أنا لم أكن مقتنعاً أولاً بما كان يقوله الإخوان من أنني المهدي المنتظر، وبعد مدة اعتزلتهم ثم استخرت الله، أكثر من مرة، حول ذلك، وانشرح صدري لذلك في ليلة». فقلت له: من أول من أشار إلى أنك المهدي؟! فقال لي: «هذه الفكرة كانت موجودة عند بعض الإخوان في مسجد الرويل، قبل أن ننضم للإخوان، وكانوا يرددونها أحيانا، وكنت أبتسم في داخلي منها، وأعتبرها مزحة، حتى تواترت الرؤى فأخذتها على محمل الجد»[8]. وكما نرى يبدو أن مسألة المهدي عندهم بدأت مزحاً، وانتهت إلى جد جر إلى كارثة.

---

(8) يقع المسجد في حي الخزان في الرياض

في هذه المرحلة بحثت عن مصدر للرزق، فعملت في محل لبيع الأواني المنزلية، وبدأت علاقتي بالإخوان تخبو أو تبرد، ولم أعد أهتم باجتماعاتهم أو أخبارهم، وحافظت على علاقتي بدروس الشيخ عبد العزيز بن باز، وعلاقتي بخالد الشريمي. وفي أحد الأيام بعد موسم الحج التقيت بناصر الدخيل في المسجد الجامع، وأخبرني عن عزم الإخوان دخول الحرم في الأول من محرم 1400 هـ/20 نوفمبر 1979م، وأنهم سيبايعون المهدي المنتظر محمد بن عبد الله القحطاني بين الركن والمقام. وسألني: «هل ستدخل معهم؟»، فأخبرته بأنني غير مقتنع بقصة المهدي المنتظر. فقال لي: «إن الإخوان جميعهم قد حجوا هذا العام، ورابطوا في مكة في انتظار هذا الحدث» وافترقنا.

كنت أعلم أن هناك مجموعة من الإخوان غير مقتنعين بقصة المهدي، ودخول الحرم بالسلاح، مثل شيخي علي المزروعي، وحامد الأحمدي، وفيصل محمد فيصل، وعبد الله الحربي، وقد وقع لكل من فيصل وعبد الله الحربي قصتان مثيرتان للدهشة والأسى. أما فيصل فقد سمعت منه مباشرة -بعد سجني عقب الاحتلال واجتماعي به في الزنازين- كيف دخل الحرم مع الداخلين، وهو الذي لم يقتنع بقصة المهدي ولا بحمل السلاح.

يقول فيصل: «كنت قادماً من المدينة، ومررت بمزرعة علي الحضيني لنتزود بالماء وترتاح العائلة، والتقيت بعلي، وبعد السلام جلسنا نشرب القهوة، فأخبرته بموقفي من المهدي وحمل السلاح في الحرم، ثم دخل إلى بيته وعاد بعد برهة ثم قال لي: «هل تريد أن تلتقي بجهيمان؟»

فوافقت. وفعلاً خرج علينا جهيمان بعد برهة. وبعد السلام جلسنا نشرب الشاي. ثم قال لي جهيمان: «أنت يا فيصل رجل الكل يقدرك ويسمع منك. وما كان لك أن تتخلف عن الإخوان». فقلت له: أنت تعلم يا جهيمان أنني سبق أن قلت لك إن الله لم يشرح صدري لهذه القضية، وأن فيها مخالفات شرعية كثيرة، والصورة عندي ملتبسة لم أستطع أن أميز فيها بين الحق والباطل». فقال له جهيمان وهو يضرب على صدره: «تعال وعلي»[9]. وهكذا ذهبت بعائلتي إلى نجران. وعدت ودخلت الحرم وبايعت محمد عبد الله القحطاني. لم أطلق النار إلا في الأيام الأولى. ثم لما فقدنا محمد عبد الله نزلت إلى جهيمان في الخلوات وهو محاصر وكلمته عن فقدان المهدي. وجاءنا خبر من بعض الإخوان أن محمد عبد الله قد قتل.

وأضاف فيصل: «غضب جهيمان وقال: إن محمد عبد الله لا يمكن أن يكون قد قتل. لأنه المهدي المنتظر، والصحيح أنه حصر في مكان ما من الحرم».

نهاية الأحلام

لقد كانت هناك مجموعة من الإخوان رفضت فكرة قتل المهدي المنتظر محمد عبد الله القحطاني، أو موته حتى بعد فشل حادثة الحرم، والتعرف على جثته من قبل أخويه سعيد وسعد وابن أخته. وقد كان بعضهم يقسم أنه لم يمت، مثل عبد الرحمن حموده وهو فلسطيني، ويوسف أكبر،

---

(9) أي تعال معي ودع الأمر لي، أنا أحتمل ضمانه عنك.

واتُّهم الإخوان الذين شهدوا قتل محمد عبد الله بعدم اليقين بمهديته، وأنهم يسعون إلى الإرجاف بين صفوف الإخوان، وهكذا لم يجرؤ أحد أثناء الحصار على تكرار الحديث عن قتل المهدي، أو أسره.

وسألت فيصل عما كان يعمله في القبو، فقال لي: «كنت معتزلاً في زاوية من الخلوة مع الجرحى والمصابين، والغريب أن الإشاعات والرؤى كانت تتواتر بيننا بشكل غريب، مثل خبر الخسف في الجيش القادم من تبوك، التي سألتك عنها».

كان فيصل قد سألني أول دخولي إلى الزنزانة معه عن صحة خبر الخسوف بالجيش القادم من تبوك؛ فأخبرته أنه لا صحة لذلك، وأن الأحداث المرتبطة بخروج المهدي المنتظر لم يقع منها شيء، فاستغرب ذلك وقال: «كان هناك في الخلوات كل يوم رؤيا أو خبر، حتى إن جهيمان هو الذي بث خبر الخسف بالجيش، وقال إن أحد الإخوان سمعه من راديو القوّات المحاصرة لهم في موقعه المتقدم للحراسة».

أما عبد الله الحربي فحكايته أعجب من حكاية فيصل، فقد كان عبد الله معتزلاً الإخوان لعدم قناعته هو الآخر بمهدوية محمد عبد الله، وحمل السلاح في الحرم، فاعتزل الإخوان قبل دخولهم الحرم بشهور، ولما وقع اقتحام الحرم أخذت عبد الله الحمية، وقرر أن يقوم بحركة لتخفيف الحصار على الإخوان، من خلال القيام بعملية لاقتحام الحرم النبوي مشابهة لعملية اقتحام الحرم المكي، فذهب إلى ساجر بحثاً عن أعوان

بين قبيلة جهيمان، واصطدم بنقطة تفتيش. وطلبوا منه التوقف فعصى الأوامر والإنذارات المتكررة وهرب منهم. وحاول مقاومتهم بإطلاق النار عليهم من سلاح بحوزته، وبعد إنذاره المتكرر تبادلت معه قوّات الأمن إطلاق النار. فوقع قتيلاً. وقد أخبرني بقصته أحمد العسكري، وهو يمني من الإخوان يعمل في الزراعة في ساجر. ولم يدخل الحرم. وكان معه في هذه الواقعة، وكان يحثه على الاستسلام إلا أنه رفض ذلك.

احتلال الحرم

قبل الخوض في كيفية دخولهم إلى الحرم، يجب أن أشير إلى أن مجمل ما سأرويه هنا أحكيه عن فيصل محمد فيصل، وبعض من سجنت معهم ممن شارك في احتلال الحرم.

علمت بنية الجماعة في دخول الحرم والاعتصام به في شهر محرم من السنة والقرن الهجري الجديد مصادفة، إذ التقيت بناصر محمد في الرياض، بعد خروجي من المسجد الجامع في العقد الثاني من شهر ذي الحجة-أوائل نوفمبر 1979. وبعد السلام سألني: هل ستذهب إلى مكة وتبايع المهدي؟ فأخبرته بعدم قناعتي بمهدوية محمد عبد الله القحطاني. فأخبرني أن الإخوان قد تواصوا في ما بينهم على التجمع في مكة. ودخول الحرم فجر الأول من شهر محرم 1400 هجرية، وسيبايعون المهدي بين الركن والمقام.

بعد ذلك وقع الحادث في التاريخ المذكور، وحدث لغط حماسي بين المجموعة التي تقاعست عن دخول الحرم، بسبب عدم قناعتها في قضية المهدي المنتظر. وكانت الصحف هي المتوافرة لدي كمورد وحيد لحادثة الحرم. وطالت أيام المقاومة، من داخل الحرم، وخشيت أن أتصل بأحد من الإخوان فيلقى القبض عليَّ، وبقيت على هذه الحالة حتى إلقاء القبض عليَّ في 15 محرم 1400هـ/5 ديسمبر 1979م. وبعد التحقيق معي وأخذ إفادتي نقلت إلى سجن بني حديثا على طريق مكة- المدينة.

هناك وضعوني في غرفة، وكان معي فيها فيصل محمد فيصل اليامي، وقد فوجئت بوجوده لمعرفتي المسبقة بموقفه من تحديد المهدي بمحمد عبد الله القحطاني. يقول:«ذهبت بأهلي إلى نجران، وعدت إلى مكة، وكان الإخوان على قدم وساق في التحضير لدخول الحرم، فجهزوا وانيتين (سيارتين خاصتين بنقل الماء). وقد وقع الاختيار على سيارات نقل الماء، لأن هناك في بدروم الحرم بئراً يشرب منها بعض أهل مكة، فمن المعتاد أن تقف هناك سيارة أو سيارتان، تنتظر دورها في تعبئة خزانها. المهم أن الإخوان ملأوا إحدى السيارتين بتمر والأخرى بالسلاح والذخيرة، كما أنهم ملأوا خزانات الوقود الرئيسية والاحتياطية في الوانيتين تحسباً لكل طارئ. علماً أن بعض الإخوان من أهل مكة قد أدخلوا بعض قطع السلاح الخفيفة، وخبأوها في أكثر من خلوة من خلوات الحرم الموجودة في البدروم، قبل موعد الاقتحام بأيام.

اقتضت الخطة بأن يدخل السلاح بثلاث طرائق، يتسلسل استعماله زمنيا، هكذا تدخل المجموعة الأولى وهي بسلاحها الفردي، الذي

تحمله معها من خارج الحرم. أو الحاصلة على بعضه من داخل الحرم والمخبأ في الخلوات. ومهمتها تأمين الساعة الأولى. ويدخل الوانيت في الساعة نفسها. ثم تدخل الجنائز الوهمية محمولة على أعناق الإخوان. وكان أكثرها جنائز نساء، والسبب أن جنائز النساء مقببة فلا تصف ما تحتها. كما أنها تحمل أكثر. وأدخلت الجنائز الحرم قبل التكبيرة الأولى لصلاة الفجر. ووضعت في مكان قصي عن الحرم بعد التكبيرة الأولى. وتم الأمر هكذا، قام بالتكبيرة الأولى. وكان الإخوان قد وزعوا عناصرهم على جميع أبواب الحرم، فكان عند كل باب عنصر أو عنصران.

أخبرني أسامة عواد ابراهيم القوصي، وهو مصري كان في السنة النهائية في كلية طب القاهرة. وقد قدم مساعدة طبية للإخوان داخل الحرم. وهو ممن دخل الحرم وبايع المهدي. بأن الإخوان بدأوا في إغلاق أبواب الحرم بمجرد أن بدأ الإمام بقراءته. قال القوصي: «كنا نسمع إغلاق أبواب الحرم ونحن خلف الإمام نصلي».

وهنا يخبرني أحدهم أنهم سمعوا إطلاق رصاصة. واتضح فيما بعد أن مطلقها أحد الإخوان بسبب مشادة بينه وبين أحد حراس الأبواب غير المسلحين وقتها. وأن هذه الرصاصة قد ارتدت على مطلقها فقتلته. تناقل الإخوان من الجماعة هذه القصة، لأن هذا الرجل سمّي أول شهيد في حادثة الحرم. كما أنه والد زوجة محمد بن عبد الله القحطاني «المهدي المنتظر»، ووالد زوجة سعيد أخي المهدي، ولا أذكر اسمه إلا أنه من عسير.

يخبرني أحد الإخوان أنهم سمعوا أصوات تكبير من بعض الإخوان المتحمسين، أثناء الصلاة، ولا أدري هل هذا التكبير إشارة لأمر متفق عليه بينهم، أم أنه جاء عفوياً. وبعد أن سلم الإمام، وقام ليصلي صلاة الميت، بادر مجموعة من الإخوان إلى الميكروفون وسيطروا على الوضع، وسط هتافات التكبير والحمد. حاول الشيخ محمد السبيل إمام الحرم صبيحتها، أن يعظهم فلم يسمعوا له بل اقتيد هو وبضعة عساكر إلى إدارة الحرم، حيث تحفظوا عليهم في إحدى الغرف. ثم قاموا بتوزيع دفعة من السلاح، ثم بدأ فيصل اليامي خطبته المكتوبة، والتي سرد بها أهدافهم من اقتحام الحرم، ومبرراتهم حول ذلك، كما هو مثبت في نصها الذي أوردناه في الملحق.

كان جهيمان يقاطع الخطبة، ويعطي توجيهاته لأتباعه وتوزيعهم على مواقع معينة داخل الحرم، أو يعلق على موقف معين. وبعد ذلك وزع السلاح والذخيرة على الموجودين في صحن الحرم، ووقف محمد بن عبد الله القحطاني «المهدي المنتظر» بين الركن والمقام، كما ورد في نص حديث الرسول، فبايعه أولاً جهيمان، ثم بايعه باقي الإخوان الموجودين حوله، ثم قام نور الدين بن بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي بترجمة الخطبة للأوردو لمجموعة من الباكستانيين. قال لي أحد من شهد هذا الموقف: إن نور الدين كان يخطب في الباكستانيين مشهراً مسدساً يلوح به في الهواء.

تمت البيعة للمجموعة الموجودة في صحن الحرم، ثم قيل لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي) إن هناك بعض الإخوان لم يبايعوا بسبب

أنهم متمركزون في مواقع دفاعية، وليس من المصلحة أن يتركوا مواقعهم، فقرر محمد عبد الله المرور عليهم في مواقعهم، وأخذ البيعة منهم، وكان بعضهم في المنارات، وبعضهم في المسعى، وبعضهم فوق سطح الحرم، وعند المداخل، وفعلاً تم ذلك، ومرَّ محمد عبد الله عليهم، وأخذ البيعة منهم، وحثهم على الصبر في القتال.

حصل في هذا الوقت قنص من المنائر على القوات الموجودة في الخارج، فردت عليهم القوات، واستمر الرمي والقنص، وحاولت مركبة مدرعة الدخول من المسعى من جهة المروة، ففجروها بعبوات مولوتوف مكوَّنة من زمزميات فخارية، كانت تستعمل في السقاية، وبنزين وفتيلة من القماش. كل هذه المواد كانت متوفرة وقتها في الحرم، فالزمزميات الفخَّارية كانت هي الأداة المنتشرة والمستعملة في سقاية الناس ماء زمزم، والبنزين كان موجوداً في خزانات الصهريجين الذين استعملا في إدخال التمر والسلاح، أما القماش فمتوفر بكثرة.

أقيمت متاريس مكونة من السجاد المطوي في المسعى، وفي بعض الأماكن، وأُمنت بعض الخلوات بالماء والتمر والذخيرة لتكون مكان إمداد وملجأ، ومكان راحة. وفي هذه الفترة، وأعني الثلاثة الأيام الأولى، كان محمد عبد الله (المهدي) يمر خلالها على المرابطين في مواقع الدفاع، ثم انقطعت أخباره عنهم. وذكر أحدهم لجهيمان أن محمد عبد الله قد أصيب في المسعى، وذكر له آخر أنه قتل في المسعى، فغضب جهيمان وقال لهم: «إن المهدي لا يمكن أن يقتل قبل أن يحقق رسالته، التي من أجلها اختير كمهدي، هو لم يقتل وإنما حُصر». وشاع بين الإخوان أن المهدي قد حصر في مكان ما من الحرم.

يقول فيصل محمد فيصل: «بعد نهاية اليوم الثالث، لم يشاهد أحد محمد عبد الله (المهدي المنتظر). وتضاربت المعلومات حول قتله أو إصابته أوحصره من قبل القوات السعودية. ومنع جهيمان أي حديث عن قتل المهدي، وتجادل معي في ذلك -والكلام لفيصل محمد فيصل- لأنني طلبت منه التسليم وعدم إطلاق النار بسبب أن المهدي مجهول المصير. وأننا في الحرم، ولا يجوز رفع السلاح فيه، فما بالك بإطلاق النار؟ فغضب مني وقال لي: «إن هذا الكلام يبث روح الهزيمة بين الإخوان، والمهدي لم يقتل، ولن يقتل حتى تتحقق باقي العلامات المنصوص عليها، ونحن الآن ننتظر العلامة الثانية، وهي الخسف بالجيش القادم من تبوك، لكي يقاتلنا، والمهدي حصر في مكان ما من الحرم وسنفك حصاره».

أضاف لي فيصل: وعندها رميت سلاحي، وأويت لإحدى الخلوات منتظراً الخسف بالجيش القادم من تبوك. وبعد حديثي مع جهيمان بعد ذلك بيومين، أتانا جهيمان وأخبرنا أن الرؤيا قد تواترت بأن الجيش القادم من تبوك قد خسف به، وبعد ذلك بيومين أتانا أحد الإخوان وهو مستبشر وقال: «إن فلاناً من الإخوان، وهو من أهل الصدق والورع وكان مرابطاً في الخطوط الأمامية، سمع في الليلة الماضية الراديو الموجود عند العسكر، وكان صوته واضحاً، أن الجيش القادم من تبوك لمحاربة الإخوان المتصمين بالحرم قد زلزلت الأرض من تحته وخسف به، وأن خسائرهم كبيرة، فكبَّر بعض الإخوان».

وكان السبب في تطرقنا لهذا الموضوع، أنا وفيصل، أنه سألني حالما رآني معه في الزنزانة عن صحة خبر الخسف بالجيش القادم من

تبوك. فنفيت ذلك وأخبرته عن استقرار الأوضاع وأن الحياة عادت إلى طبيعتها في مكة نفسها، وذلك بعد شهر محرم الحرام. ومما فهمته من مجموعة منهم أنهم كانوا يسمعون يومياً بأحلام أو بأخبار كانت تروَّج بينهم وعليهم، كلها تعزز قضية المهدي أو الخسف بالجيش، أو تحثُّ على الصبر والثبات.

أظن أن المجموعة أصيبت بحالة من الهوس الجماعي، أو كانت تحت تأثيره، خصوصاً وأنهم في الأسبوع الثاني من الحصار لاذوا بخلوات الحرم، وكان جهيمان يخرج بمجموعات من أعوانه فيطلقون النار عند أبواب القبو. كما انحسر القتال من المنارات والسطح إلى الدور الثاني، ثم انحسر إلى الدور الأول، وأخيراً إلى البدروم. ومن مجمل البدروم إلى أجزاء متفرقة من غرف البدروم، وفي اليوم الأخير حصروا، وفُتحت عليهم فتحات من السقف ورموا بالقنابل المسيلة للدموع، وفي جميع مراحل المواجهات كانت مكبرات الصوت تناشدهم أن يستسلموا وأن يلقوا السلاح.

الجماعة السلفية المحتسبة
دراسة في فكر المحتلّين للمسجد الحرام

منصور النقيدان(*)

مدخل

في عام 1990 لفت انتباه أجهزة الأمن السعودية أن الأشخاص الذين تستوقفهم نقاط التفتيش الأمنية ولا يحملون (التابعية) أو بطاقة الهوية، هم بازدياد. وكشفت التحقيقات أن بعضاً منهم كان يمزّق بطاقته، بسبب الصورة الملصقة التي كانوا يعتقدون تحريمها.

(*) كاتب سعودي وباحث متفرغ في مركز المسبار للدراسات والبحوث

كان أولئك الشباب بعثاً جديداً لجماعة انتعشت في سبعينات القرن الماضي، ومع حلول عقد الثمانينات كانت في ما يبدو في حالة انقراض وتآكل، ولم يكن قد بقي من معتنقي أفكارها إلا قلّة من الشيوخ والكهول موزّعين في صحراء نجد وبواديها، وآخرون منهم كانوا يقطنون الكويت[1] واليمن. كان السلفيون (أهل الحديث)، قد خاضوا صدامات مع فقهاء السعودية، وتعرّضوا للسجن مرتين أواخر السبعينات من القرن الماضي، واستيقظ العالم أجمع على إعلانهم عن ظهور مهديهم المنتظر صبيحة الأول من شهر محرم 1400هـ/20 نوفمبر 1979م.

كان نقد أهل الحديث اللاذع لمشايخ وفقهاء الحنابلة، ومتون الفقه كـ «زاد المستقنع» وغيره، وتجهيلهم لعلماء الوهابية وسخريتهم منهم سبباً في موجة من العداء تجاههم من قبل نظرائهم من المشتغلين بعلوم الشريعة الحنابلة من الفقهاء والقضاة، لهذا حينما انبعثت هذه الموجة أواخر الثمانينات لم تخطئهم العين، فقد كانشمرهم الطويل، وثيابهم القصيرة حتى أنصاف الساقين، ولبس بعضهم للخواتم بأيديهم، ومطالبتهم

(1) يذكر محمد الحسين وهو باحث سعودي كان في نهاية الثمانينات ممن تأثر بموجة البعث الجديدة لفكر الجماعة أنه كان "هناك حوالي ستة أو سبعة أشرطة سُجّلت في الكويت في عام 1988 وكانت تحوي مناظرة بين بقايا "الإخوان" "أهل الحديث" وبين بعض السلفيين من جمعية إحياء التراث، وكان يمثل وجهة نظر الإخوان عبداللطيف الدرباس، وكان الدرباس يتولى الدفاع عن وجهة نظر "الإخوان" الذين احتلوا الحرم وأعلنوا ظهور المهدي، وأذكر أن بعضاً ممن سجنوا عقب احتلال الحرم لسنوات، خرج وله موقف معارض لكل من ينتقد الحكومات وخصوصاً ضد عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي). وقد حدثت عدة مناظرات في هذا الشأن في حواضر الكويت، وقد حضرت بعضاً منها في عامي 1988. هناك فترة كادت أن تكون فترة ذهبية من 1987 إلى ما قبل احتلال الكويت، وذلك بعد خروج عبداللطيف الدرباس من السجن 1987. فقد تشكلت قوة علمية لا بأس بها لأهل الحديث في الكويت بفضل الدرباس، فالتف حوله الإخوان وكان عصام البرقاوي حينها متواجداً في الكويت وهناك طالب علم آخر اسمه أبو أيوب، وقد تعرّفت عليه في الكويت وعند الشيخ بديع الدين في سعيد أباد - الباكستان في عام 1988". محمد الحسين. رسالة شخصية للباحث عبر الإيميل 21 أغسطس 2010.

الخطباء والوعاظ بأن يؤكدوا صحة الأحاديث التي يروونها بين الجمهور، تذكّر بأيامهم السالفة ومأساة اقتحامهم للمسجد الحرام.

في نهاية سبعينات القرن الماضي كان تقاطعُ أفكار أهل الحديث الجدد الذين كانت تشكّل الرياض والمدينة المنوّرة قاعدتين أساسيتين لهم بأفكار إخوان بريدة -وسط السعودية- الذين كانوا يهجرون مدارس الحكومة ووظائفها، سبباً في تقارب حذر بين الجماعتين. فإخوان بريدة رغم هجرانهم للعمل في مؤسسات الحكومة، كانوا يدينون بالولاء التام للأسرة المالكة ولولاة أمرهم، ولا يقبلون نقد علمائهم وفقهائهم وكتب الفقه التي يتعلمون منها في مساجدهم، خلافاً لأهل الحديث كما سيأتي بيانه وتفصيله.

وفي عام 1989 عزمت مجموعة من وجهاء إخوان بريدة وبعض المشايخ فيها على رفع الأمر إلى السلطات، وتحذيرها من أن الأمر أصبح مخيفاً ومستفحلاً، ولا يجوز السكوت عنه: لولا وساطة من بعضهم بوعود قطعوها أن تُعالج المسألة، بطريقة أكثر حكمة، بعيداً عن الحكومة وأجهزتها الأمنية.

كانت نشرات «أهل الحديث» في السبعينات تُوزَّع خفية قبل الفجر في المساجد وعلى زجاج السيارات، وكانت تؤكد على أهمية سنّة الرسول، والأخذ بها، وتعيب على المذاهب الفقهية تحكيم أقوال الرجال في دين الله، وتنعي على الحكومات والمجتمعات بعدهم عن شرع الله والأخذ بسنّة رسول الله.

جاءت السنوات الثماني التي امتدّت من 1987 وحتى 1995 لتكون فترة ازدهار وانبعاث ثانٍ لأهل الحديث. وبعدها ذبولهم وانكفاؤهم في السعودية واليمن والكويت، ولكن منذ 1995 حتى 2003، كانت هذه المجموعة قد أعيد تشكيلها مرة أخرى. ودخلت طوراً آخر عرف فيما بعد عند المراقبين والباحثين بـ «السلفية الجهادية» التي تجعل من جهيمان العتيبي رمزاً وشخصية ملهمة. وكان منظر الجهادية السلفية الأردني عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) جسراً ووصلة تحوّل رئيسة في كل هذا.

تقتصر هذه الدراسة على شرح أسباب نشوء هذه الجماعة وأهم أفكارها وشيوخها والشخصيات المؤثرة داخلها والانشقاقات التي عرفتها، إلى قيام عشرات منهم باحتلال المسجد الحرام وإعلان مهديهم المنتظر، ثم القضاء على حركتهم بعد أسبوعين حيل فيهما بين المسلمين وبين الطواف والصلاة في أقدس مساجدهم.

الحالة الاجتماعية والدينية

يصف عالم دين سعودي الحالة الدينية والاجتماعية والثقافية في أوائل الخمسينات الميلادية: «شغل الناس بأمور سياسية ومذاهب فكرية كالناصرية والقومية العربية الاشتراكية وغيرها بسبب الإعلام المنحرف والموجه... ثم أصابني ما أصاب الناس، فانصرفت خمس سنوات عن دروس الشيخ ابن سعدي، واشتغلت بالزراعة في الوادي مع الوالد، ولم أكن أذاكر

أو أراجع العلم الذي حصّلته. وكدت أنسى القرآن. ولم يكن يحضر حلقة الشيخ ابن سعدي سوى عدد بسيط»[2]. وفي عام 1960 أرسل عبدالرحمن الدوسري، وهو عالم دين كويتي، رسالة إلى أحد كبار علماء الدين في السعودية وهو عبدالعزيز بن باز، يحثه فيها على مطالبة الملك سعود بن عبدالعزيز بمنع الصحف والمجلات والنشرات الأجنبية واصلاح التعليم والحاق مدارس البنات برئاسة المعاهد التي يشرف عليها المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وتخفيض عدد مدارس البنات، وقصر المدارس الثانوية على المدن الكبرى فقط مثل الرياض وجدة وبريدة، وتقوية مادة الدين.

وكتب الدوسري رسالة أخرى يحذّر فيها من الجيش الجرّار للمعلمين الأجانب الذين «لا تسمح لهم حكوماتهم بالسفر إلى السعودية حتى يخضعوهم لدورة في الأفكار القومية». وحذر الدوسري أيضاً من كثرة المدارس الثانوية، ودعا إلى الاستغناء قدر المستطاع عن المدرسين من الجمهورية المصرية، وأضاف «والأمر المهم جداً هو عدم ابتعاث أحد من طلبة المملكة إلى الجمهورية، فإن صرفهم إلى أمريكا أحرى نفعاً وأقل ضرراً»[3]. ويصف المستشار السابق في وزارة العدل السعودية عبدالمحسن العبيكان الحالة الدينية للمجتمع السعودي نهاية الخمسينات: «في تلك الفترة لم يكن يصلي إلا كبار السن، أما غالب الشباب فهم لايصلُّون

(2) العالم هو محمد بن صالح بن عثيمين، وهو فقيه وأستاذ جامعي وعضو هيئة كبار العلماء (29 مارس 1929 - 5 يناير 2001). مارن العامدي المعروف بـ "مالك الرحمي". رحلتي إلى النور، 22 يونيو 2005، ص 141-142. نشرت في مواقع كثيرة على الإنترنت منها صيد الفوائد

http://www.saaid.net/book/open.php?book=1962&=93

(3) كلتا الرسالتين في محمد الحمد، ومحمد الموسى. الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، ص 243-246، دار ابن خزيمة، الرياض، 2001.

ويستهزئون بمن يصلي، إلا القليل النادر منهم.كان الشباب يرون الصلاة نوعاً من التخلف»[4]. وهو ما يؤكده مقبل الوادعي في شرحه للأسباب التي أوصلت الجماعة السلفية المحتسبة، إلى نهايتها المؤسفة[5].

احتساب جماعي

كانت البلاد قد عاشت احتجاجات جماعية قام بها محتسبون في العاصمة الرياض وفي المدينة المنوّرة. احتجت مجموعة منهم أمام مبنى التليفزيون في العاصمة الرياض قادهم فيها أمير شاب في الرابعة والعشرين من عمره، وهو ابنُ أخ الملك الأميرُ خالد بن مساعد بن عبدالعزيز، وقد لقي مصرعه إثرها في منزله في سبتمبر 1965. جاء هذا التظاهر تجاوباً مع رفض علماء الدين والمطاوعة للبث التليفزيوني[6]. وقد نشرت جريدة القبس الكويتية بعضاً من الوثائق البريطانية التي تحدثت عن مقتل الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة 1975 على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد، وعلاقة ذلك بمقتل شقيقه الأمير خالد بن مساعد[7].

---

(4) جريدة المدينة، ملحق الرسالة، 2 مارس 2006.

(5) مقبل الوادعي، المخرج من الفتنة، ص 141، ط1، دار الحرمين، القاهرة 1984. وقد ذكر أن ضغط الآباء والأقارب على من تمسك بدينه من الشباب والسخرية بالمتدينين أحد أسباب تطرف الجماعة. وفي كلام الوادعي إشارة إلى أن الصحوة الإسلامية كانت في بداياتها الأولى طوال عقد السبعينات، ولم يكن وقتها للمطاوعة أي تأثير اجتماعي، خلافاً لما أصبح الحال عليه بعد ذلك في ثمانينات القرن الماضي.

(6) مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، دار الساقي، ص 171. والأمير طلال، ص 260

7) جريدة القبس الكويتية 23 يناير 2006. والوثائق مؤرخة في 20 مارس و22 و4 و29 أبريل 1975. أفرج عنها عام 2005. وتحدثت عن مقتل الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة 1975 على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد شقيق الأمير خالد. تشير الوثائق إلى مقتل الأمير خالد بن مساعد وأسبابه. وقد نسب السفير البريطاني الحديث إلى الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب أمير الرياض.

تصاعدت مطالب العلماء بأن يكون لهم حظ أكبر في الرقابة على الأنظمة والقوانين الصادرة من قبل مجلس الوزراء، ولقيت مطالب هيئة الأمر بالمعروف بغلق أستوديوهات التصوير في الرياض موافقة من الملك سعود في أيام حكمه الأخيرة، فقامت الحكومة بإيجاد حل وسط بأن أمرت برفع اليافطات عن الأستديوهات وإزالة واجهاتها الزجاجية، والإبقاء عليها[8].

أما في منطقة الحجاز التي كانت متحررة نسبياً من سطوة مطاوعة الرياض فقد اتخذت الاحتجاجات شكل احتساب جماعي، حين قامت مجموعة من المحتسبين بتحطيم بعض واجهات استديوهات وتماثيل العرض في محلات الملابس النسائية في المدينة عام 1965، تلاها هجوم آخر على أستوديوهات التصوير ومحلات ملابس نسائية في المدينة نفسها، وقد سجن المتورطون أياماً. وكان من بينهم الشيخ محمد بن عبدالعزيز الشدي وهو من علماء حريملاء-شمال غرب الرياض[9].

---

(8) أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص 488، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2000.

(9) قام الشدي (1930 - 30 نوفمبر 2003) بزيارة بريدة صيف 1980، وحكى هذه القصة وكنت ممن حضرها. اختلف الشدي مع "أهل الحديث" في نهاية السبعينات بسبب موقفهم من الفقهاء الحنابلة، وهاجم قصيدة شهيرة رفعها إلى الملك خالد، قبل احتلال الجماعة للمسجد بفترة وذكر أنه تعرض للتهديد من قبل جهيمان بسبب القصيدة. جاء ذكر هذه الوقائع في ناصر الحزيمي. لقاء مصور مع مكتبة الملك فهد الوطنية 2001 ج1. ولقاء خاص مسجل أجراه الباحث معه في الرياض في يناير 2006. وناصر الحزيمي كاتب سعودي. ولد عام 1958 في الزبير جنوب العراق. وانتقل إلى الرياض مع والده وهو في الحادية عشرة. وتعرف على الجماعة السلفية عام 1975 في الحج. وأصبح من المقربين إلى جهيمان العتيبي ورفيقه في بعض أسفاره وكتب له بعض المراسلات. وقد سجن في 9 ديسمبر 1979. وكان من أوائل من أفرج عنهم في الدفعة الأخيرة من الجماعة عام 1980. كتب الحزيمي شهادته (ذكرياتي مع جهيمان العتيبي) ونشرها مركز المسبار للدراسات في كتابه الثالث والأربعين (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج) يوليو 2010. أجرت معه مكتبة الملك فهد الوطنية 2001 لقاء مطولاً في ست ساعات يحكي فيه سيرة حياته مع الجماعة السلفية. وقام الباحث بإجراء لقاء معه مسجل في يناير 2006 في الرياض. كما نشر الحزيمي ثلاث مقالات في جريدة الرياض السعودية عن الجماعة وتأثير جماعة التكفير والهجرة عليهم. في 5 سبتمبر 2004، و19، و25 مايو 2005. وسوف يأتي الاستشهاد بالحزيمي كثيراً في هذه الدراسة.

التأسيس

في خومة هذه التحوّلات التي عاشتها السعودية تأسست «الجماعة السلفية المحتسبة» التي عُرفت فيما بعد بـ «أهل الحديث»[10] برعاية وإشراف مباشر من نائب رئيس الجامعة الإسلامية عبدالعزيز بن باز، الذي كان يحظى بدعم من مفتي السعودية رئيس الجامعة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويتمتع بنفوذ كبير وبثقة الملك فيصل بن عبدالعزيز.

ولدت الجماعة بعد اجتماع في الحرة الشرقية في المدينة ضم كلاً من سعد التميمي وسليمان بن شتيوي الحربي وجهيمان العتيبي وناصر بن حسين الحربي، وكان لهم جميعاً تجربة سابقة مع جماعة الدعوة والتبليغ، واختاروا أن يكون اسمها «الجماعة السلفية»[11] وعرضت الفكرة على عبد العزيز بن باز، فدعمها وأعلن عنها ولكنه فضّل أن يكون اسمها «الجماعة السلفية المحتسبة»[12]. وكان نشاط الجماعة في السنوات الأولى مزيجاً

---

(10) وقد خصص الوادعي فصلاً عن الجماعة في كتابه (المخرج من الفتنة) بـ"اسم أهل الحديث". وهو الذي اعتمدته في عنوان الدراسة وسوف يأتي ذكرهم في ثناياها بأوصاف متعددة كلها كانت تعرف بهم وهي "الإخوان"، و"أهل الحديث"، و"السلفية المحتسبة".

(11) الحزيمي، لقاء مع الباحث في الرياض 2005. لا تتوفر معلومات كافية عن ثلاثة من المؤسسين للجماعة الواردة أسماؤهم في الأعلى، ولكن الأحداث اللاحقة بعد انشقاق الجماعة في أواسط السبعينات وعدم تعرضهم للتوقيف والسجن، يدل على أنهم ممن نأوا بأنفسهم عن جناح جهيمان، وفضلوا تجنيب أنفسهم عن الفتنة والتزام خط العلماء التقليديين. وقد جاءت الإشارة إلى التميمي والشتيوي في مقبل الوادعي، المخرج من الفتنة، الطبعة الأولى، الصفحات 141-144 و ص 109، الطبعة الثانية.

وناصر الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان، كتاب المسبار الثالث والأربعين (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج)، ص253 و272، يوليو 2010.

(12) ولكن يبدو أن جهيمان لم يكن راضياً بهذه التسمية. يقول مقبل الوادعي إن "الشيخ الألباني زارنا ونحن بالمدينة وكان يلح مع مجموعة أن نسمي أنفسنا بالسلفيين. وأنا وجهيمان أبينا أن نسمي أنفسنا بالسلفيين ونحن سلفيون منذ زمن... لكن مجرد التسمية بها تحجر، فالحزبية ضيقة العطن وضيقة النطاق". المخرج من الفتنة، ص 111.

من طريقة جماعة الدعوة والتبليغ وتعاليم عالم الحديث السوري ناصر الدين الألباني. ومن عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب. والاسترشاد بتوجيهات ابن باز. وقد ساهم ذلك في انتشار مراكز الجماعة وتضاعف أعداد المنتسبين إليها. ولكنها قصرت معظم نشاطها على الهِجَر والقرى ومناطق تواجد البادية. واختارت الغالبية العظمى من الجماعة وصف نفسها بالإخوان[13].

تأثير الألباني في الجامعة الإسلامية

ولد محمد ناصر الدين الألباني في ألبانيا 1914. ثم انتقل مع والده إلى دمشق وهو ابن 8 أعوام. تلقى التعليم على يد والده ودرس الفقه الحنفي. ثم انشغل بدراسة علم الحديث حتى أصبح من كبار علماء الحديث. انتقل للتدريس في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها في عام 1960. بدعوة من صديقه نائب رئيس الجامعة ابن باز. وبقي فيها حتى أنهي عقده بعد أربع سنوات بسبب تهم وجهت إليه من قبل زملائه بإثارة الفتنة والتحريض على انتقاد الفقهاء وإثارة تمرد الطلاب على أساتذتهم. وفي عام 1999 نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام. وألف عشرات الكتب والتحقيقات لكتب الحديث والسنّة. وهو من أكثر الشخصيات السنّية تأثيراً في القرن

---

(13) كان أفراد الجماعة يفضلون أن ينادوا بعضهم بـ (الإخوان). وقد ذكر جهيمان في رسالة "الميزان في حياة الإنسان" لقاءه بأحد طلاب الدراسات العليا "فقال لي لما علم أنني من الإخوان إني قد قابلت أحد إخوانكم في شقراء". رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم. تحرير رفعت سيد أحمد. ص 103. مكتبة مدبولي. ط الثالثة. 1989. وفي قصيدة لشاعر الجماعة اليمني أحمد المعلم باسم (هذه دعوتنا) خاطب من اعتقلوا من الجماعة بـ (يا معشر الإخوان سيروا وابشروا..). المرجع السابق ص179. وقد التقى الباحث بعدد ممن كانوا مع الجماعة وكان الوصف المحبب لهم هو "الإخوان". ولكنهم حينما يتحدثون عن "منهجهم". فهم (أهل الحديث). وقد ذكر جهيمان في (الفتن وأشراط الساعة ص 12). أن التسمية التي تطلق على الجماعة تدور بين التنبز مطوع. أو الإخوان.

العشرين ومن أقطاب انبعاث السلفية العلمية (أهل الحديث) في العقود الأربعة الأخيرة، توفي في 2 أكتوبر 1999.

تأثرت الجماعة بأفكار ناصر الدين الألباني، واقتفت تعاليم الأب الروحي للجماعة الشيخ عبدالعزيز بن باز[14]. عمل الألباني مدرساً للحديث في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها عام 1960 حتى أنهي عقده عام 1964. ذكر الألباني بأنه كان قريباً من طلبته وأنه اتفق مع محمد عبدالوهاب البنا (قُتل ابنه في احتلال الحرم وكان من المتورطين مع الجماعة) بأن يقوموا كل أسبوع برحلة مع طلبتهم، ولأن الألباني -كما يصف نفسه- قد جاءهم بـ «علم لم يسمعوا به من قبل» فقد ارتفع مستوى علم الطلبة بالحديث وعلله، وخاضوا نقاشات مع أساتذتهم في الجامعة تسببت بإحراجهم، فدفع الحسد زملاءه المدرسين إلى رفع شكاوى ضده تتهمه بإثارة الفتنة داخل الجامعة والتطاول على الأئمة الأربعة مما تسبب في إنهاء عقده رغم وساطة صديقه ابن باز[15].

---

(14) ولد عبدالعزيز بن باز وسط السعودية في عام 1912، فقد بصره وهو في السابعة عشرة وتلقى العلم على مفتي السعودية ورئيس القضاة محمد بن إبراهيم، وسعد بن عتيق وعبدالله بن عبداللطيف. تولى القضاء وهو في العشرين من عمره. وتولى منصب نائب رئيس الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها عام 1960، وأصبح رئيسها منذ 1970. ولدت الجماعة السلفية المحتسبة (أهل الحديث) برعاية منه في 1965. طبع له عشرات الرسائل وآلاف الفتاوى. ومن أشهر فتاواه فتوى طويلة أصدرها بكفر الرئيس جمال عبدالناصر في 1964، بعنوان (ردة عن الإسلام والاشتراكية حرام)، وفتوى أخرى بحق الرئيس التونسي أبورقيبة. وعين الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ 1975، ومفتياً للسعودية منذ 1992، توفي في 14 مايو 1999.

(15) تمتع الألباني بعلاقة وطيدة مع الجماعة السلفية المحتسبة، وكان مستشاراً ومفتياً لأعضائها، وبعد وقوع الاحتلال مباشرة أشيع أنه ضمن المشاركين في الاقتحام، ووجهت إليه أصابع الاتهام في قضية المهدي، ولكنها لم تثبت. امتنع عن الحج سنوات، حتى 1990. انظر محمد إبراهيم الشيباني، حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، الجزء الأول، ص 58-62 مكتبة السداوي، 1987. أيضاً الألباني سيرة ذاتية صوتية، الجزء الثالث، دار الآثار، عمان، الأردن، بدون تاريخ. أيضاً كلام الشيخ على حادثة جهيمان واحتلال الحرم، تسجيل صوتي، موقع أهل الحديث والأثر http //www alathar net/home/esound/index php?op-shhow&shd-1&hord-48

ويبدو أن الخمس سنوات الأولى من إنشاء الجامعة الإسلامية قد شهدت تنامي هذا التوجه داخل الجامعة وخارجها. فقد ذكر حمود بن صالح العقيل إمام جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض والداعية بدار الإفتاء والإرشاد 1980، في خطبة ألقاها قبل إنهاء احتلال المسجد الحرام بيوم واحد في 2 ديسمبر 1979 أن «المدينة المنوّرة جمعت مزيجاً من الوافدين للدراسة في الجامعة. وكان أكثر الطلاب مختلفين في العقائد والفروع. وفي هذا الجو نشأت مجموعة تدعو إلى نبذ المذاهب الفقهية والأخذ بالكتاب والسنّة، وترك البحث في كتب الفقه وما استنبطه الفقهاء. وقد حدثت منهم غرائب وشذوذ أوجدت الفرقة والاختلاف واتساع الشق وحدوث الفوضى في الدين. وسارع ولاة الأمر في المملكة حينذاك إلى وأد الفتنة وقتلها في مهدها ففرقوا غير السعوديين عن المدينة بإرجاعهم إلى أوطانهم. وقد نامت الفتنة طويلا نتيجة هذا الإجراء الحكيم»[16].

نشاط الجماعة

اقتصرت أنشطة الجماعة في السنوات العشر الأولى على الدعوة والوعظ واتباع القرآن والحديث الصحيح، وذم التقليد. واقتصر معظم عملها في الهجر والقرى والبوادي. وكان لهم تأثير ظاهر في عدد منها غرب السعودية. ويبدو أن اقتصار الجماعة على الهجر والبوادي كان بسبب أن المدن والحواضر الكبيرة كانت مكتفية بعلمائها. ولهذا كان جهيمان يتفادى المدن. فقد كان يتحدث بالعامية ولم يكن يمتلك القدرة

(16) حمود العقيل، خطبة في جامع البديعة، تقرير سليمان العصيمي، جريدة الرياض، 12 يناير 1980.

على الحديث بالفصحى[17]، وكان للجماعة أيضاً بيوت تأوي من يرتادها في مكة والمدينة والرياض وحائل وساجر. وكان مقرها في مكة بيت «حوض البقر» في العزيزية والمسؤول عنه هو عايض بن دريميح. وفي المدينة كان لها بيت في الحرة الشرقية. وفي الرياض مسجد سكيرينة ومسجد الرويل بمنفوحة. وفي ساجر جنوب القصيم ومسقط رأس جهيمان العتيبي كان أمير الجماعة ابن غازي. وفي بريدة لم يكن لهم بيت ولكنهم كانوا يسكنون المدرسة الأهلية العلمية المعروفة بـ «المدرسة الدينية» في مبناها القديم شمال مسجد العيد القديم. وفي حائل كان بيت أبناء جارالله هو موئلهم. وكانت الغالبية من الجماعة تعيش في المدينة فهي مركز الجماعة ومهاجر المستجدين منهم[18].

وفي موسم الحج من كل عام كانت الجماعة تقيم مخيمها وتستضيف أعداداً من العلماء وأساتذة الجامعة الإسلامية من السعودية ومن خارجها. ولكن الجماعة لم تصدر أية نشرات تعريفية عن أفكارها طوال عشر سنوات من تأسيسها حتى 1975. وهذا يعود إلى أن الجماعة كانت تعتبر نفسها امتداداً طبيعياً لمدرسة أهل الحديث ومنهج السلف. كما أن كتب الألباني وفتاوى ورسائل ابن باز اعتبرت مصادر كافية لفكرها. ويبدو أيضاً أن غالبية «الإخوان» من الجماعة كانوا ذوي سابقة مع جماعة الدعوة والتبليغ، وهي جماعة تفضل الانكماش وتزهد في التأليف. إضافة إلى تواضع تحصيلهم العلمي في الشريعة وعلومها. ولكن مع ظهور الانشقاق

(17) الحربي. لقاء مع الباحث. الرياض.

(18) الحربي. مكتبة الملك فهد

منتصف السبعينات نشرت الجماعة رسائلها لتوضيح موقفها مما يشاع عنها من قبل خصومها وتبديد التهم التي وجهت إليها، وحرصاً من أعضاء الجماعة على تمييز أنفسهم عن مخالفيهم بشرح أفكارهم والتدليل عليها[19].

أبناء البادية والهجر

ازدادت أعداد المنتسبين إلى الجماعة في سنوات قليلة. وغلب على أعضائها أبناء القبائل من بادية السعودية. وبعض من الحاضرة، وكثير من الطلاب الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية من الكويت ومصر والعراق واليمن والباكستان. وفي لقاء أجرته جريدة السفير اللبنانية[20] أشار ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى أن الجماعة كانت خليطاً من البدو والحضر. وقد ذكر مقبل الوادعي أن الجماعة في المدينة كانوا بدواً اتجهوا إلى علم الحديث وتعظيم الكتاب والسنّة: «كانوا بدواً وبعضهم سائق وبعضهم يعمل في معمل بلوك»[21]. ولكنك تجد السائق منهم قد وضع «رياض الصالحين» على طبلون سيارته. يأتي الواحد منهم فيقيم بيننا أياماً ثم يعود إلى أهله وهو طالب علم. ولكنهم كانوا بدواً «لا يحسنون

---

(19) الحربي، لقاء الرياض في رسائل الجماعة التي نشرت معطلة من التاريخ وخلا معظمها من اسم المؤلف استشهاد بكتب الألباني وتفسير محمد الأمين الشنقيطي، وهو عالم موريتاني هاجر إلى السعودية في الخمسينات الميلادية. وكذلك مؤلفات حمود بن عبدالله التويجري وهو عالم سعودي كان كتابه (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة) من المصادر التي اعتمدتها الجماعة في تعزيز ظهور المهدي محمد بن عبدالله كما سيأتي.

(20) جريدة السفير اللبنانية، العاشر من يناير 1980.

(21) الطاروق

الحديث باللغة العربية»، وذكر الوادعي أن المحققين من رجال الأمن السعوي سألوه قبل ترحيله إلى اليمن عن سبب انتشار دعوة الجماعة وكثرة أتباعها، فأجابهم بأنه هو يشعر بالحيرة إزاء ذلك ولا يملك جواباً[22].

تسرب الفكر التكفيري

منذ 1977 تطعّمت الجماعة بعناصر جديدة زادت من وعيها الحركي وفتحت نافذة جديدة على محرّمات لم يكن يسمح بالاقتراب منها، مثل اتهام الأسرة المالكة السعودية بتبذير ثروات البلاد، وإثارة النقاش حول مدى أحقيتهم بحكم البلاد من منظور ديني، وانتقاد علماء الحكومة -كما يصفونهم- وتكفير الحكومة السعودية. وقد تناقضت تصريحات المسؤولين السعوديين مع شهادات مقرّبين من الجماعة وأعضاء سابقين منهم حول حقيقة تأثر الجماعة بالتكفير والهجرة. فقد أكد وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز أن التحقيقات أكدت عدم وجود أشخاص يحملون فكر جماعة التكفير من الكويتيين والمصريين المتورطين مع الجماعة[23]، بينما أكدت شهادات كل من مقبل الوادعي[24]، وناصر الحزيمي خلاف ذلك. وذكر حمود العقيل في خطبته التي سبقت الإشارة إليها أنه «بعد وفاة الملك فيصل أخذت الفتنة تنمو شيئاً فشيئاً، حتى اتّسعت في عام 1396هـ/1975م، وزادت بشكل ملحوظ في عام 1397هـ/1977م،

---

(22) الوادعي، سيرة ذاتية ج 2، تسجيل صوتي - مكتبة أهل الحديث بدماج، بدون تاريخ. وقد أشار إلى ذلك أيضاً في كتابه المخرج من الفتنة.

(23) "وتموت الفتنة"، إصدار جريدة الندوة، ص88، 1980.

(24) مقبل الوادعي، المخرج من الفتنة، مصدر سابق، ص 142، الطبعة الأولى.

وفي عام 1398هـ/1978م دخلت عناصر أجنبية في العقيدة، وبعيدة عن عقيدة أهل السنّة والجماعة، تنتمي إلى جماعة التكفير والهجرة بمصر، وقد نشطت في عام 1399هـ/1977م في المملكة، وكان المراقبون لها من طلاب العلم يعرفون أن قادتها وأقطابها لا يحملون للناس الهداية[25]. ولكن الحزيمي يذهب إلى أن تأثير جماعة التكفير كان مؤقتاً ثم تلاشى قبل احتلال الحرم بسنتين تقريباً[26]. وقد ذكر الوادعي أن الألباني في زياراته إلى المدينة كان يقضي وقتاً في نقاش مع من يتأثرون بفكر التكفير حتى يتراجعوا عنه[27]، وقد أوضح جهيمان معاناته من التهم التي وجهت إليهم بالتكفير[28].

الصدام مع الفقهاء وبدايات الانشقاق

ظهر انتقاد الفقهاء وأتباع المذاهب الأربعة قبل إنشاء الجامعة الإسلامية بسنوات، ويؤكد هذا برقية أرسلها مفتي السعودية محمد بن إبراهيم في عام 1377هـ/1956م إلى رئيس قضاة مكة عبدالله بن حسن

---

(25) حمود المشيل، مصدر سابق.

(26) الحزيمي، مكتبة الملك فهد.

(27) الوادعي، سيرة ذاتية، ج2، مصدر سابق، يذكر محمد الحسين أنه حتى عام ١٩٧٧ كان بعض أهل الحديث على قناعة بأنه في فترة تشكل فكرة المهدي، كان بعض الإخوان المصريين يأتون إلى بيت الجماعة السلفية في المدينة، ويذكرون أنهم رأوا هذا الرجل (محمد بن عبدالله) في المنام على أنه المهدي، فكان لدى هؤلاء الإخوان شك بأن وزارة الداخلية السعودية كانت على علم بتوقيت دخولهم الحرم، وهناك من كان يرى أن هؤلاء المصريين كانوا مدسوسين ومخبرين، وفئة ثالثة كانت تذهب إلى أن هؤلاء كانوا يكفّرون الحكام من الجماعات الجهادية المصرية ولم يكونوا يؤمنوا بالمهدي، بيد أنهم يؤيدون الخروج على الحكومات. محمد الحسين، مصدر سابق.

(28) جهيمان العتيبي، مختصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 126، رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم، رفعت سيد أحمد.

عن وعاظ هنود (في الحجاز كما يبدو) يقومون بالتهجّم على أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم والحط من أقوالهم[29]. وليس واضحاً من برقية ابن إبراهيم ما إذا كان هؤلاء الوعّاظ من جماعة الدعوة والتبليغ أو من مدرسة أهل الحديث من سلفيي الهند. وتشير بعض المصادر إلى أن من شاركوا في احتلال الحرم، كانوا ممّن قرأ في كتب الشريعة، وحفظ غير قليل من الكتاب والسنّة[30]. وفي رسالة من مفتي السعودية محمد بن إبراهيم إلى أمير الرياض إشارة إلى شكوى أمير «دخنة» من وعاظ ومرشدين أجانب يقومون بجولات في أنحاء المملكة[31]. في الفترة نفسها التي تأسّست فيها الجماعة السلفية المحتسبة، يؤكد ذلك أن مسجد سكيرينة في الرياض الذي كان يأوي أتباع الجماعة كان معروفاً بأنه كان مقر جماعة التبليغ والدعوة[32]. وقد بدأت جماعة التبليغ نشاطها في السعودية والخليج مبكراً منذ 1947. فقد قام مؤسسها محمد إلياس بإعلانها عقب زيارته لمكة، ولا يستبعد أن تكون نواتها بدأت هناك[33].

انتقل ابن باز إلى العاصمة الرياض رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام 1975، وأناب عنه أبا بكر جابر الجزائري، الأستاذ بالجامعة

---

(29) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم. جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم. الجزء الثالث عشر ص161-162 بتاريخ 28-3-1377هجري/ 23 أكتوبر 1957. الطبعة الأولى. مطابع الحكومة بمكة المكرمة. 1979. أيضا فتوى لابن إبراهيم عن طرد مدرس يفتي بمذهب أهل الظاهر. الجزء الثاني ص23. بتاريخ 1 رمضان 1389هـ/ سبتمبر 1969م. وكان بديع الدين الراشدي -كما سيأتي- يعقد لطلابه من أهل الحديث دروساً في كتاب المحلى.

(30) محمد المجذوب. مجلة الجامعة الإسلامية. عدد. 44 ص20. أيضا ناصر الحزيمي. لقاء مع الباحث. الرياض.

(31) فتاوى ابن إبراهيم. ج 13. ص 159. بتاريخ 20 جمادى الآخر 1385/ 9 أكتوبر 1965.

(32) ناصر الحزيمي. ذكرياتي مع جهيمان العتيبي. كتاب المسبار (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج)، ص 250، يوليو 2010.

(33) فلاح المديرس. الحركات الإسلامية في الكويت. السلفية والتبليغ. جريدة القبس. 27 نوفمبر 2006.

الإسلامية ليصبح مرشداً للجماعة[34]، ولكن مع ازدياد أعداد أعضائها وغلبة العناصر الشابة وتنامي تمدّد أهل الحديث في الجامعة الإسلامية، بدأ الخلاف بين أعضاء الجماعة وقضاة المدينة وأساتذة الجامعة يتصاعد بسبب النقد الشديد الذي كان يوجهه الطلاب للفقهاء ووصفهم بالتعصب والجهل بصحيح السنّة وعلم الحديث.

كان الألباني يلتقي بالجماعة في مواسم الحج كل عام وينزل ضيفاً في المخيم التابع لها، فيستشار في شؤونها ويستفتى في ما أشكل من مسائل علمية وفكرية، وكانت كتبه مرجعاً للجماعة، كما كان يحل ضيفاً في الحج في مخيم الجماعة ويجتمع بزملائه من الأساتذة وبطلابه، وقال: «رأيت جهيمان أكثر من مرة وكان يسألني ويستفتيني»[35]. ومع ازدياد الخلافات داخل الجامعة والصدام مع علماء المدينة وأساتذة الجامعة لم يتمكن ابن باز من تهدئة الشقاق رغم اجتماعات رأب الصدع، وقد ذكر مقبل الوادعي أن جهيمان اتهم أحد كبار الجماعة بأنه كان مخبراً لأجهزة الأمن[36].

صعود نجم جهيمان العتيبي

ولد جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي عام 1938 تقريباً في ساجر جنوب القصيم، وهي إحدى هجر الإخوان البدو البالغ عددها ثلاثاً وخمسين.

---

(34) أبو بكر جابر الجزائري، ولد في بسكرة في الجزائر 1921، هاجر إلى السعودية، وقام بتدريس التفسير في الجامعة الإسلامية والمسجد النبوي بالمدينة المنورة.

(35) الألباني، سيرة ذاتية مسجلة ج3. أيضاً الحربي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، مصدر سابق. والحربي، مكتبة الملك فهد.

(36) المخرج من الفتنة ص 141 - 144 ط1، 1984. وقد سرد أسماء أربعة من علماء المدينة الذين اصطدمت بهم الجماعة، ووصفهم بأنهم "علماء سوء". وهم ابن راجح، وعبدالعزيز بن صالح، وعبدالقادر شيبة الحمد.

وقد تأسست الهجرة عام 1913. وكان والده من الإخوان المحاربين في جيش الملك عبدالعزيز. وكان صديقاً لسلطان بن بجاد بن حميد. ويقال إن سلطان أوصاه بالفرار عقب معركة السبلة 1929 وعدم تسليم نفسه، وتوفي في حادث سيارة عام 1966. وكان سيف العتيبي، جد جهيمان لأبيه، مشهوراً بـ «سيف الضان» وكان فارساً غازياً قتلته قبيلة أخرى انتقاماً لقتله أشخاصاً من أبنائها في إحدى غزوات البادية[37]. لم يكمل جهيمان تعليمه المدرسي بعد الرابع ابتدائي، وفي منتصف الخمسينات التحق بفوج بن ربيعان في الحرس الوطني[38]. وتشير بعض المصادر الأمنية إلى أن جهيمان سافر إلى الكويت عام 1959 وسكن الرميلة، حيث كان في نيته الالتحاق بالجيش الكويتي إثر تهديدات حكومة عبدالكريم قاسم باحتلال الكويت ولكنه عاد إلى السعودية والتحق بالحرس الوطني.

تأثّر جهيمان بجماعة الدعوة والتبليغ في بداية شبابه أوائل الستينات، وصحب أفرادها فترة، وفي منتصف الستينات اعتنق جهيمان سلفية أهل الحديث متأثراً بناصر الدين الألباني ومؤلفاته وتعاليمه التي زرعها بين طلابه في الجامعة الإسلامية، ومريديه الذين كانوا يلتقون به في كل عام، كما تتلمذ على ابن باز، وحضر دروساً في دار الحديث التابعة للجامعة الإسلامية[39]. وشارك في تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة عام

---

(37) الحربي. مكتبة الملك فهد. مصدر سابق. أيضا: مشاري الذايدي، ربع قرن على حركة جهيمان ماذا بقي وماذا مضى، الشرق الأوسط، 24 - 25 فبراير 2004.

(38) جهيمان. الفتن وأشراط الساعة. الرسائل السبع، ص 12. بدون تاريخ ولا ناشر.

(39) ذكر جهيمان في إحدى رسائله أنه كان يحضر دروساً في معهد الحديث التابع للجامعة الإسلامية، وحضور الدروس في المعهد كان ممنوحاً لكل من يرغب الحضور ولا يجب الانتظام في صفوفها. وهذا هو الذي أوهم بعض من كتبوا عن الحركة أن جهيمان تخرج من الجامعة الإسلامية

1965، ونشط في الجماعة مسؤولاً عن الرحلات والجولات في القرى والهجر والبوادي. وأشرف على بيت الحرة الشرقية، وشارك في جولات دعوية في القرى والبوادي بلغة سهلة مبسطة للعامة. ودرس على صديقه مقبل بن هادي الوادعي وابن باز وبديع الدين الراشدي السندي وحضر دروس الأمين الشنقيطي، والتقى بالألباني كثيراً في مواسم الحج. بقي مستوى جهيمان الاجتماعي متواضعاً، حيث كان حتى بداية السبعينات سائقاً في الحرس الوطني، ومالكاً لقطيع من الجمال والماشية كان قد قد ورثها من أبيه[40].

أصبح من المؤثرين داخل الجماعة منتصف السبعينات، وتسبب موقف غالبية أتباع الجماعة من بعض المسائل الفقهية التي تتعلق بأحكام الصلاة، والمحاريب في المساجد، وأذان الفجر، والموقف من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها وكتب المذهب الحنبلي، وقد تسبب اختلاف وجهات النظر في هذه المسائل بخلافات بين شباب الجماعة وشيوخها القدماء من جهة، وبين مدرّسي المسجد النبوي وفقهاء من أساتذة الجامعة وعلماء المدينة من جهة أخرى، وقد وجد جهيمان في الشباب غايته وأنصاره الذين يبحث عنهم.

واستطاع جهيمان الاستئثار بتأييدهم والوقوف معهم، على رغم أنه كان فيهم من يفوقه تحصيلاً علمياً ومعرفة بالشريعة، وقام بنقلهم إلى مرحلة أخرى كان عنوانها رفض المؤسسة الدينية ورفض علمائها والعداء للأسرة الحاكمة والتشكيك بشرعية حكمها للبلاد، ومع تواضع مقدرته على التأليف وضعف معرفته باللغة العربية الفصحى تحدثاً وكتابة. إلا أنه

(40) ناصر الحزيمي، مكتبة الملك فهد، مصدر سابق

نجح في تأليف عدد من الرسائل. وكان ينشرها في البداية مغفلة من اسمه أملاها وساعده في صياغتها وتوثيق مصادرها شاعر الجماعة أحمد حسن المعلم ومحمد بن عبدالله القحطاني، الذي دعي بالمهدي لاحقاً كما سيأتي. وقد خضع مقبل الوادعي أثناء توقيفه في المباحث العامة للتحقيق والمساءلة بشأن رسائل جهيمان، وكانت الشكوك تدور حول دور الوادعي في تأليف تلك الرسائل التي تنسب إلى جهيمان، ولكنه أنكر ذلك[41]. ساءت علاقة جهيمان بالأب الروحي للجماعة عبدالعزيز بن باز منذ 1977. وقد تطرق لذلك في أكثر من موضع من رسائله.

تزوّج جهيمان ثلاث مرات وأنجب عدداً من الأبناء، ومع ظهور أمارات تطرف الجماعة قامت الحكومة باعتقال بعضهم. لاذ جهيمان بالفرار، وبقي قرابة سنتين طريداً حتى ظهر في المسجد الحرام. وتمكّن من دخول الكويت في عام 1979 تهريباً عبر الحدود[42]، وقام بمتابعة

---

(41) سيرة ذاتية صوتية. ج2.

(42) كان التسلل عبر الحدود الكويتية السعودية نشطاً في تلك الفترة. وقد تمكّن كثير من أعضاء الجماعة وأنصارهم في الكويت من السلفيين لسنوات من التخفي عن أنظار الجوازات وحرس الحدود. وقد تسلّل القحطاني محمد بن عبدالله (المهدي) إلى الكويت، وكذلك أحمد المعلم الذي كان يشرف على طباعة الرسائل في مطابع مجلة الطليعة. ثم تسهيل عملية إدخالها إلى السعودية عبر أعضاء الجماعة الكويتيين. وكان أبرزهم جابر الجلاهمة، وعبداللطيف الدرباس الذي قبض عليه في رمضان 1399/أغسطس 1979، وبقي موقوفاً حتى احتلال المسجد الحرام. فبقي سجيناً حتى 1980. وفي حديث أجراه الباحث مع أستاذ العلوم السياسية السابق بجامعة الكويت في أوائل شهر يناير 2006 في السالمية بالكويت، ذكر النفيسي أنه كان في شهر رمضان من العام 1399هـ/1979م في شوق عارم لأداء العمرة، ولكنه لم يكن يملك جوازاً يمكّنه من دخول الأراضي السعودية بعد أن قامت الحكومة الكويتية بسحب جوازه عقب تأليفه لكتاب (الكويت والرأي الآخر). ولكنه وجد من يعرض عليه المساعدة بتهريبه إلى داخل الحدود السعودية، وبعد دقائق من اجتيازهم الحدود أحاطت بهم سيارات أمن الحدود السعودي في "الرقعي". فقبض عليه متنكراً باسم عبداللطيف الفهد، ضمن عشرين شخصاً، أودعوا السجن في المنطقة الشرقية لأكثر من شهر حيث أطلق سراحهم جميعاً بعد تدخل الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد الكويتي، ما عدا شخصاً واحداً هو صاحب "الواميت الدائسون" عبداللطيف الدرباس للتحقيق معه بشأن النشرات. عبدالله النفيسي. لقاء مع الباحث. الكويت. يناير 2006.

طباعة آخر رسائله وأكثرها أهمية هي «الإمارة والبيعة والطاعة» التي طبعت كثيرها من رسائل الجماعة في مطبعة الطليعة التجارية في الكويت.

كان جهيمان يتمتع بشخصية قيادية وبكرم ولطف أكسبه حب الشباب والمستجدين من الجماعة. ولكن ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز وصفه بأنه «رجل ساذج وعادي إلى درجة متناهية لا يستطيع حسن التعبير، لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير حتى إنه لا يستطيع أن يكتب كتباً ويسجلها، وأنه لا يفهم شيئاً منك إذا تحدثت معه»[43].

استطاع جهيمان قيادة 250 من المسلحين في الأول من محرم 1400هـ/ 20 نوفمبر 1979م واحتل بهم المسجد الحرام. وأعلن عن ظهور المهدي وطالب الناس بمبايعته وأعطى توجيهاته للمسلّحين بإغلاق أبواب المسجد وبقتل كل من يعترضهم[44].

وريث الإخوان

كان جهيمان حتى بداية السبعينات موظفاً في الحرس الوطني في فوج ابن ربيمان، والأفواج عبارة عن فرق عسكرية يشغلها أبناء القبائل من قدامى المحاربين في جيش (الإخوان) ويتوارثها أبناؤهم، والإخوان (إخوان

(43) جريدة السفير اللبنانية 10 يناير 1980، مصدر سابق.

(44) خطبة بيعة المهدي في المسجد الحرام، التلفزيون السعودي، 22 نوفمبر 1979، وهي منشورة في كتاب "وتموت الفتنة"، جريدة الندوة، 1980.

من أطاع الله) حركة إحياء دينية وهابية متقشفة ولدت نواتها في بادية نجد أوائل القرن العشرين. وترعرعت في الحواضر الثلاث والخمسين التي عرفت باسم (الهجر)، تيمّناً بهجرة الرسول مستلهمة معنى الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. اعتبرت مرحلة البدو فترة جاهلية منبوذة، ولقيت حركة الانتقال من البدو إلى القرى والهجر دعماً وتشجيعاً من قبل علماء الدين الوهابيين. وقرر السلطان عبدالعزيز بن سعود أن يوجه اهتمامه إلى حركة الإخوان كواسطة لتقوية وتثبيت قوته على العناصر الممزقة الكثيرة التي كان عليه أن يصارعها في نجد وكل أقاليمه الجديدة عموماً. ومنذ عام 1913، مثّل مقاتلو الحركة القوة الضاربة المخيفة في جيش الملك عبدالعزيز.

أثرت تلك الحركة المتشددة في بدو وسط الجزيرة العربية خلافاً للحضر، الذين كانوا يبدون وهابيين أكثر اعتدالاً. لاحظ عبدالعزيز أن الحركة صارت تسيطر على الأمور في نجد، ورأى ضرورة وضعهم تحت ضبط صحيح، كان هناك خطر من اندفاعهم بلا رادع ولا وازع، خارج نطاق حكمه في الشمال الشرقي حيث العراق والكويت. استمرت الخلافات تتفاقم وتمرّد عليه أكبر زعمائها فيصل الدويش وسلطان بن بجاد العتيبي وضيدان بن حثلين.

جاءت مرحلة الصدام في معركة السبلة الشهيرة عام 1929 التي انتصر فيها عبدالعزيز نصراً ساحقاً. فلاذ الزعماء الثلاثة بالفرار، وبعد مداولات ومراسلات أذعن سلطان بن بجاد وجاء مع خمسين رجلاً من أتباعه إلى الملك عبدالعزيز حيث أودع هو والقادة الآخرون في سجن

الأحساء الذي كان يخضع لإشراف عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء القوي. بقي سلطان بن بجاد في سجنه حتى لقي حتفه عام 1933.

في الخمسينات توصل الملك عبدالعزيز إلى استنتاج مؤداه أن عصبية الإخوان البدو لم تعد تشكل خطراً على النظام، لأنها موجهة ضد «البدع» واغراءات الحضارة العصرية. لذا أخذت الحكومة تولي اهتماماً كبيراً للمجندين من البدو[45].

أدرك جهيمان فترة رئاسة الأميرعبدالله بن فيصل بن فرحان للحرس الوطني (منتصف الخمسينات) وقد أكد جهيمان أنه لم يكن أحد من العاملين بالحرس-وقتها- يحلق لحيته[46]. وقد جاء إنشاء الجماعة السلفية عام 1965 شحنة روحية لأبناء الإخوان. فكانت هي الحاضن الروحي لزهاء عشرين ألفاً من مجندي الحرس الوطني الذين كانوا يتمتعون بحس ديني وهابي، وبولاء للأسرة المالكة في وقت عاشت فيه البلاد بعض حركات التمرد داخل الجيش من ذوي التعليم العالي.

بعد إخماد تمرّد الإخوان في السبلة بقوا عاملاً سياسياً دينياً مهما في البلاد، وبرغم عدم فتور تشددهم. إلا أنهم أصبحوا لا يشكلون تهديداً عسكرياً لنظام الحكم فشقوا طريقهم تدريجياً نحو كسب ثقة الحكومة. وأصبحوا يشكلون العمود الفقري للحرس الوطني والوحدات غير النظامية

---

(45) أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، مصدر سابق، ص 425.

(46) جهيمان، الفتن وأشراط الساعة، ص 12، الرسائل.

في الجيش. وقد كانت الحكومة تنظر إليهم باعتبارهم أشجع المواطنين الذين يلتزمون بالإسلام التزاماً شديداً فضلاً عن التزامهم بنظام الحكم الملكي الديني بوصفه النظام المناسب[47].

ذكرى أولئك الفرسان الأوائل سوف تكون عاملاً رئيساً في تشكيل رؤية جهيمان العتيبي وقد كان والده محمد واحداً منهم. بدأت كوامن تلك المشاعر الجياشة والحنين الجريح إلى مجد الآباء من الإخوان بالظهور لدى جهيمان وغيره من الإخوان الجدد منذ منتصف السبعينات[48].

وكان مآل الحلف الذي انفرط عقده بين الملك عبدالعزيز وبين الإخوان إحدى القضايا الهامة التي ستشغل تفكير جهيمان وظهرت بشكل واضح في رسائله، ومنها الفتن وأشراط الساعة، والإمارة والبيعة والطاعة[49]. وقد وصف جهيمان حال الحرس الوطني عام 1977 في رسائله :«فأنت لن تجد في فوج كامل من الإخوان إلا ثلاثة أو أربعة»[50]. وما ذكره يعبّر عن تحوّل كبير مقارنة بالحال قبل عشرين عاماً حيث كان الإخوان هم الغالبية الساحقة.

---

(47) أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، مصدر سابق، ص 495.

(48) مشاري الذايدي-مصدر سابق.

(49) الحربي، مكتبة الملك فهد، مصدر سابق. أيضا الحربي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، مصدر سابق.

(50) جهيمان، الفتن وأشراط الساعة، مصدر سابق.

مقبل الوادعي

ولد مقبل الوادعي في اليمن، وسافر إلى مكة وهو دون العشرين فدرس في معهد الحرم المرحلتين المتوسطة والثانوية، ثم انتقل للدراسة في الجامعة الإسلامية، حيث حصل على الماجستير في علوم السنّة، وبكالوريوس في أصول الدين. تلقى العلم على الألباني، وكان يحضر دروسه الخاصة التي يعقدها لكبار الطلاب، وحضر دروس ابن باز في صحيح مسلم في المسجد النبوي وتخصص في علم الحديث. وقد كان مفتي الجماعة: «كنت مفتي الجماعة ومدرسهم»[51]، وكان صديقاً لجهيمان حتى حدثت الفرقة بينهما بعد «انحراف» رآه في رسائل جهيمان. وجّه إليه الأمن السعودي تهمة التحريض وتأليف رسائل جهيمان -كما سبق- فسجن لشهور ثم أبعد عن السعودية قبل أحداث الحرم بعام كامل، وتوفي عام 2001 بعد إصابته بتليّف الكبد.

تحدّث الوادعي عن علاقته بجهيمان في سيرته الذاتية الصوتية، وذكر الخلاف والقطيعة التي وقعت بينهما، وقد أثنى جهيمان على الوادعي[52]. ويتحدث الوادعي عن تلك المرحلة: «كنت أصحب الجماعة وأدرّس بعضهم وكانوا يعتبرونني مفتيهم، ونخرج في الرحلات، وكان فيهم ناس مستفيدون»، والوادعي هو أحد ثلاث شخصيات مؤثّرة قامت الحكومة بإبعادهم وهم الألباني عام 1964، الذي بقي على صلة بالجماعة في زياراته

---

(51) مقبل الوادعي، سيرة ذاتية صوتية، مصدر سابق.

(52) جهيمان، الميزان في حياة الإنسان ص ١٥٩، رسائل قائد المقتحمين، رفعت سيد أحمد.

للعمرة والحج، وبديع الدين الراشدي السندي في عام 1979 -كما سيأتي- ومقبل الوادعي 1978.

وفي 2001 ألقى الوادعي في مدينة جدة محاضرة ذكر فيها أنه سئل مراراً عن انتقاده للسعودية في كتبه، فذكر أنه أمر من يقوم على طباعة كتبه بأن يحذف منها مواضع الهجوم على السعودية، موضحاً أن كلامه كان بسبب إبعاده من السعودية، وأنه كان في المدينة حين سجن أواخر السبعينات، وبعد سجنه في المدينة والرياض خرج وهو لا يقول بتكفير الحكومة السعودية، بل هو في خصام دائم مع من يكفّرونها، وأنه عفا عنهم كما عفوا عنه[53].

بديع الدين السندي

بديع الدين الراشدي السندي من أهل الحديث من سلفيي السند في باكستان، ولد عام 1926، وهاجر إلى السعودية عام 1975، وأقام في مكة أربعة أعوام، قام بالتدريس في معهد الحرم لسنتين بتزكية من رئيس شؤون الحرمين عبدالله بن محمد بن حميد، ودرَّس المُحَلَّى لابن حزم الأندلسي، مُنع من التدريس في المسجد الحرام بسبب آرائه الناقدة للفقهاء، فعقد

(53) مقبل الوادعي. مشاهداتي في المملكة العربية السعودية "44" وفي المخرج من الفتنة ص 78 ما يؤكد أن الوادعي رغم عدائه للسعودية طوال خمس عشرة سنة فقد كان يرى حكامها مسلمين، وأن احتلال المسجد الحرام من قبل جهيمان وأهل الحديث بغي وخروج على حكومة مسلمة. وقد خلت الطبعات الجديدة من كتبه التي أصدرها في الثمانينات من أي هجوم أو انتقاد للحكومة السعودية، كما هو ملاحظ في الطبعة الجديدة من كتابه "المخرج من الفتنة"، وكتابه الآخر "السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة"، الذي صدر قبل توحيد اليمن. وقد لم السعودية في ثمانية مواضع من كتابه.

دروسه في منزله.أبعدته الحكومة السعودية لكونه أحد المحرّضين لتمرّد الجماعة، بعد تصاعد الخلافات بين الجماعة وعلماء المؤسسة الرسمية وتشديد الرقابة الأمنية، أُبعد عن السعودية نهاية 1978. كان حادّ الطباع وشرساً في النقاش، وكان له صدامات مع علماء الأحناف في السند، وقد استمر على مواقفه كما يظهر من تسجيل صوتي مسجل عام 1991، وصف فيه فقهاء المذهب الحنفي بـ «المخانيث». ألّف مايقرب من 108 كتب معظمها في علوم السنّة، توفي في 8 يناير 1996 في كراتشي[54].

انقسام الجماعة

قاد جهيمان جناح الصقور داخل الجماعة، وبدأ الصدام مع معتدلي الجماعة ومنهم المرشد أبو بكر الجزائري الذي ساهم ضعفه وعجزه عن السيطرة على تمرّد الدماء الشابة في اتجاه الأمور نحو انشقاق أكبر. تعصّبت للجزائري مجموعة من بينهم قدماء الجماعة. في 1976 عقد اجتماع في بيت الحرة الشرقية، وكان الهدف من الاجتماع إعلان براءة شيوخ الجماعة من الآراء التي لا تمثلهم. وأعلن قدماء الجماعة شكواهم من انفراد جهيمان بالقرارات الهامة داخل الجماعة من دون الرجوع إليهم[55]، وقد أشار وزير الداخلية السعودي الأمير نايف في مؤتمر عقده بوزارة الداخلية في فبراير 1980 إلى هذا الخلاف الداخلي بين الجماعة.

---

(54) محمد الأرناؤوط، جريدة الأسبوع الأدبي، ع 716. أيضاً علي حسن عبدالحميد الأثري، بديع الدين السندي، محاضرة صوتية، 29 فبراير 2009

(55) الحريمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، مصدر سابق، ص 272.

وأن الجماعة بدأت بالتشدد قبل ثلاث سنوات من احتلال الحرم، مما جعل بعض الرجال الذين لهم بهم صلة يبتعدون عنهم ويختلفون معهم ويتبرؤون منهم[56].

وقد ذكر الوادعي بالتفصيل أسباب الخلاف في كتاب «المخرج من الفتنة»، وذكر أسماء من اختلف مع الإخوان من أساتذة الجامعة وعلماء المدينة، وبعض من اتهمهم بالوشاية ورفع التقارير الأمنية يقول فيه: «ولكن ضغط الحكومة وتكالب علماء السوء عليهم جعلهم ينفرون من المجتمع، وفي آخر أمرهم انقسم الإخوان إلى قسمين: قسم تبع جهيمان، وقسم تبع الجزائري، ونحن لا يهمّنا انفصال الجزائري لأن له اتجاهاً غير اتجاهنا، لكن يهمنا أنه اتبعه سليمان الشتيوي، وهو يعتبر رأسًا في الدعوة، وكذا فالح (الحربي) أيضاً يُعتبر رأساً في الدعوة، فسعينا في الصلح فأبى جهيمان أن يتعاون معهم في الدعوة، وقال: أنا أدعو إلى الله وهم يدعون على الله، وهم إخواننا، لكننا لا نثق بهم، يقصد أن هناك مجالس بينهم سرية بلغت الحكومة فمن بلّغها؟ وفي آخر الأمر دُعينا إلى دار الإخوان وحضر حماد الأنصاري والجزائري وتكلّمَا بكلام لا يليق وردّ عليهما الأخ سعد التميمي، وقال إنهم إخواننا»[57].

ومع كثرة مشاكل الطلاب في الجامعة مع أساتذتهم أخضع عدد منهم للمساءلة من قبل الأساتذة بقصد التحقق مع تحاشي الدخول معهم بالنقاش حول صحة تلك الأقوال[58].

---

(56) ونموت الفتنة، مصدر سابق

(57) المخرج من الفتنة، الطبعة الأولى كاملة من دون حذف، الصفحات 141-144، أيضاً الطبعة الثانية، ص 109.

(58) الوادعي، سيرة ذاتية، وذكر الوادعي منهم أكرم ضياء العمري، أستاذ التاريخ السابق في الجامعة الإسلامية.

غاب جهيمان عن الاجتماع وانضم إليه أحمد المعلم وعلي المزروعي وفيصل اليامي(العجمي)، وهو -كما سيأتي- من قام بإلقاء الخطبة الشهيرة صبيحة احتلال المسجد الحرام. وكان أحمد المعلم اليمني شاعر الجماعة قد قبض عليه في الكويت ورُحِّل إلى السعودية في اليوم الثاني لاقتحام الحرم، وسجن سبع سنوات. وقد أسهم بكتابة رسائل جهيمان العتيبي وقام بمراجعتها وتوثيق مصادرها مع محمد بن عبدالله (المهدي) قبل طباعتها[59]. أما فيصل اليامي (العجمي) فقد أشار إليه فالح بن نافع الحربي -كما سيأتي- وفيصل اليامي كان أكثر الجماعة معرفة بفكر ابن تيمية وأحفظهم لأقواله.

وقعت صدامات للجماعة مع علماء نافذين مثل إمام وخطيب الحرم النبوي رئيس محاكم المدينة المنوّرة عبدالعزيز بن صالح، وإمام الحرم المدني ابن زاحم. والأستاذ في الجامعة الإسلامية عبد القادر شيبة الحمد. بسبب بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة والمحاريب والأذان والموقف من أئمة المذاهب الأربعة والتقليد[60].

جهيمان ينقل الجماعة إلى مرحلة جديدة

استأثر جهيمان في السنوات الثلاث الأخيرة من عقد السبعينات بشؤون الجماعة بعد نجاحه في إضعاف خصومه. ويؤكد استفراد جهيمان

---

(59) الحربي. مصدر سابق

(60) الوادعي. المخرج من الفتنة. ص 109. الطبعة الثانية.

وسيطرته على بيت الإخوان في الحرة الشرقية بالمدينة. ما ذكره فالح بن نافع الحربي من أنه اشتد الخلاف بينه وبينهم آخر الأيام. وأنه كان إذا زارهم في بيتهم لمناصحتهم أغلقوا الباب في وجهه، ويقول: «ذات مرة قام جهيمان وفيصل العجمي بإخراجي من بيت المسجد بالقوة قبل صلاة المغرب، اتهموني بكل التهم التي يتهمني بها الحزبيون اليوم[61]، آذوني وطردوني حتى أني خفت منهم أن يعتدوا علي»[62].

نقل جهيمان الجماعة إلى مرحلة جديدة بدأت بانتقاد علماء الحكومة الرسميين، أتبعها بنقد سياسي للحكم وطرح أسئلة عن شرعيته والتشكيك بحقيقة تطبيق آل سعود للشريعة. وقد سبقت الإشارة إلى تأثر أهل الحديث بجماعة التكفير المصرية. وقد أشار ولي العهد السعودي -آنذاك- الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى موقف الجماعة من الحكومة: «يأتي أفرادها إلى المساجد وإلى الناس البسطاء يحاولون إفهامهم بأن العقيدة الإسلامية بدأت تضعف في المملكة وأنه لا بد للقاعدة الإسلامية أن تنتبه»[63]. لم يقصر جهيمان نقده على حكام السعودية بل أكد أن «حكام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله»[64]. ولكنه يؤكد أنه «لا يلزم من بطلان بيعتهم تكفيرهم، بل هم

(61) يقصد كتابة التقارير الأمنية.

(62) تسجيل صوتي في 7 ذو الحجة 1423هـ/9 فبراير 2003م، بمنزل ربيع بن هادي المدخلي، موقع سحاب. www.sahab.com وقد ذكر الوادعي الخلاف بين فالح بن نافع وبين جهيمان. وأن كل المساعي للصلح بينهما قد فشلت بسبب تصلب جهيمان. وقد وصف الوادعي فالح بأنه رأس في الدعوة كما سبق. المخرج من الفتنة، ص 109. الطبعة الثانية.

(63) جريدة السفير اللبنانية، 10 يناير 1980. مصدر سابق.

(64) جهيمان، الإمارة والبيعة. رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم، ص 65.

مسلمون بيعتهم باطلة» وهم «ليسوا من قريش لأنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون ملّته» وهو يصفهم بالمنافقين «فتراهم يظهرون الإسلام ويوالون الكفار والمشركين». ويشنع على علماء الدين ويؤكد أن الدجال أهون منهم، لأن الدجال أمره ظاهر. وقد وصف جهيمان العلماء بـ «مشايخ المداهنة والمعاش والرتب والمراتب». ويحرِّم جهيمان العمل عند هذه الفئة من الحكومات في الجيش والشرطة والوظائف عموماً كما يبدو، والموقف تحريم العمل عندهم عريفاً أو شرطياً أو خازناً[65].

نشر أفكار الجماعة

حرصت الجماعة على توضيح موقفها من مسائل الخلاف التي نشبت بينها وبين خصومها عبر نشر رسائل صغيرة عرفت بـ «الرسائل السبع» إضافة إلى ثلاث أخرى، كانت تطبع في المطبعة التجارية لدار الطليعة في الكويت[66]، ولكن من دون نشر أسماء المؤلفين. وقد عرضت أُولى رسائل الجماعة «رفع الالتباس عن ملة إبراهيم» على الشيخ ابن باز، ولكنه طلب أن يعاد تحرير فقرة منها وكانت هي المرة الأولى والأخيرة التي عرضت فيها الرسائل عليه. وقد أصر ابن باز على إعادة تحرير الرسالة. ويبدو أن ملاحظته كانت حساسة إلى حد أنه هدّد بإصدار فتوى بخصوصها إذا لم يؤخذ برأيه. ولكن الرسالة كانت قد طبعت فاضطروا إلى استخدام ختم حفر عليه ملاحظته، طبعت على جميع النسخ[67]، وقد

(65) الإمارة والبيعة والطاعة، ص ٥٩-٨٥.

(66) عبدالله النهاري، لقاء أجراه معه الباحث في مكتبه في مبنى مجلة الطليعة في الكويت، يناير 2006.

ذكر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز أن نشرات الجماعة كانت مجهولة المصدر في البداية ولم يؤخذ عليها أي ملاحظات ذات قيمة[68].

وقد ذكر جهيمان بأنهم قاموا بعرض رسالة رفع الالتباس على كل من بديع الدين وابن باز فلم ينتقدا فيها شيئاً. «ثم قرأ بعض الإخوان الرسائل السبع ونصيحة الإخوان على الشيخ ابن باز فما أنكر شيئا إلا تخصيص هذه الدولة-السعودية- بالذات»[69]. وقد ذكر جهيمان ابن باز في أكثر من رسالة باللوم تارة وبالمديح والثناء تارة «فخير من ينكر عليهم اليوم هو الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- ولكنه مستمر في الإنكار وهم مستمرون في المنكر»[70]. وذكر الوادعي أنه أنكر على جهيمان ومن وافقه منذ بدأ بنشر رسائله وقاطعه[71].

الموقف من الجماعات الإسلامية والشيعة

اتخذت الجماعة منذ منتصف السبعينات موقفاً ناقداً لأفكار جماعة «الإخوان المسلمين» الحركية، وجماعات الجهاد المصرية. ولكن رسائلها التي كتب جهيمان معظمها كانت خالية من توجيه نقد صريح

---

(67) الحربي، مكتبة الملك فهد، و لقاء مع الباحث، الرياض.

(68) وثموت الفتنة، مصدر سابق، ص77.

(69) يقصد تخصيصها بالذم والانتقاد. هذا النقل مثبت عندي في أوراقي منذ فترة عند الإعداد لهذا البحث، وقد كتبته بين قوسين، دلالة على التنصيص، ولكن مع الأسف كانت خالية من المصدر، وبعد البحث السريع لم أتمكن من عزوه إلى مصدره، وإن كان ظني أنه منقول من رسالة الإمارة والبيعة والطاعة.

(70) جهيمان، الإمارة والبيعة والطاعة، مصدر سابق.

(71) مقبل الوادعي، سيرة ذاتية مسجلة، مصدر سابق، ج2

ومباشر. بل اكتفت بانتقاد النهج والأسلوب، وتزامن ذلك مع دخول عناصر أخرى من جماعة التكفير. كما تناولت الرسائل انتقاداً لنهج جماعة الدعوة والتبليغ في عرض الإسلام، وتهاون الحكومة السعودية مع الشيعة، وأنكرت على من ينادون بالقتال ضد الحكومات وهم بين ظهراني أهل الباطل.

أعلن جهيمان صراحة براءته من تكفير الحكومة السعودية[72] لكنه انتقد من يدعو إلى تولي المناصب في الحكم الجائر، لخدمة الإسلام[73]. ووصف جماعة الإخوان المسلمين بأنها تنهج طريق تحكيم الأفكار والتخفي تحت أستار شتى، وتقوم بالغدر بمن يعملون تحت سلطانه، وأنكر عليهم اعتبارهم خطر الشيوعية أهم من الدعوة إلى التوحيد وذم الشرك وبيان السنّة الصحيحة[74]. ووجه خطابه إليهم في فصل خصصه للدعاة «وأنتم تخالطون الناس وهم عندكم إسلام مهما تعدّدت عقائدهم وطرقهم ومذاهبهم. إنما المهم أن يوافقوكم على الاندماج في صفوف القوم وأخذ الشهادات العالية، والسيطرة على المراكز للغدر بهم لإقامة دولتكم الإسلامية... اندسستم بين الصفوف واندمجتم وغدرتم».

وقد أشار بشكل خاطف إلى جماعة التبليغ والدعوة منتقداً أسلوبها «مثل بعض الجماعات الذين يقولون إن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا إلى لا إله إلا الله ثلاثة عشر عاماً وهم لهم ستون عاماً لم يعرفوا ما تنفي

(72) جهيمان ملة إبراهيم، رفعت سيد أحمد، ص425.
(73) الإمارة والبيعة، ص89.
(74) جهيمان، ملة إبراهيم، رفعت سيد أحمد، ص 417.

وما تثبت لا إله إلا الله»[75]. وهو ينكر على من يمرّ على الشرك والبدع ويقف عنده ولكنه لا ينكر إلا في خطبة الجمعة ومنذ عشرات السنين والشرك كما هو والبدع كما هي أمامه[76]. وانتقد حال أكثر الجماعات «فبعضهم يركضون وراء الحكم، وبعضهم وراء الصوفية. مع ما في رؤسائهم من خرافات وبدع. وهؤلاء الذين يريدون الحكم لايهتمون بعقائد الناس. همُ الأولين الحكم وتقتيل الحكام. وهمُ الآخرين الزهد والأوراد الصوفية». وانتقد «جماعة الحكم والاغتيالات». وتساءل جهيمان «هل وجد في دين الإسلام من يأخذ الزكاة من الروافض ويعطيهم الإعانات ويعتبرهم من رعاياه. كما يعامل اليوم رافضة الجنوب والأحساء؟»[77].

التحضير للمهدي المنتظر

ولد محمد بن عبدالله التركي (القحطاني) تقريباً منتصف عام 1956. وكان طالباً في السنة الأخيرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. وإماماً وخطيباً في مسجد الرويل بمنفوحة بالرياض. لم يكمل دراسته، تأثراً بأفكار الجماعة.

كان محمد بن عبدالله طالب علم مستقلاً بنفسه. وله عدد من الأتباع قصروا اهتمامهم على الحديث وعلم الجرح والتعديل وقد ترك

---

(75) مختصر رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رفعت سيد أحمد. ص 120.

(76) جهيمان. مداخل الشيطان لإفساد القلوب. الرسائل. ص93.

(77) جهيمان. بيان الشرك وخطره. الرسائل. ص ١٦.

دراسته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو في السنة الأخيرة بعد تعرفه على أهل الحديث[78]. «وكانت خطب الجمعة التي يلقيها القحطاني ذات تأثير على المصلّين[79]». وقد ذكر سعيد، وهو شقيق محمد الأكبر، في لقاء مع التليفزيون السعودي بعد إنهاء الاحتلال بأن محمد حين قتل كان في الخامسة والعشرين من عمره، وقد أعدم سعيد بعد ذلك.

ولمحمد بن عبدالله رسالة واحدة ضمن رسائل الجماعة وهي «البيان والتفصيل في معرفة الدليل»، ونقل فيها عن مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب ودافع عن دعوته، واستشهد بكتاب «تيسير العزيز الحميد» من تأليف سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. وقد اتخذ موقفاً ناقداً لتعليم أصول الفقه، ودعا إلى عدم الأخذ بها إلا بالأدلة والبراهين. وقد أوصى بقراءة كتب ابن تيمية وابن القيم ورسائل علماء الوهابية «الدّرر السنيّة في الأجوبة النجدية»، وكتب الألباني. وانتقد التعليم الحكومي والمعاهد والكليات، لأنها تقوم على معصية الله بالصّوَر المحرّمة[80]. وقد آمن في السنة الأخيرة بأنه المهدي وشارك في احتلال الحرم المكي، وطالب المصلين بأن يبايعوه بين الركن والمقام مهدياً مخلّصاً للأمة، وقتل في صحن المسجد في 24 نوفمبر 1979.

---

(78) الحربي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، مصدر سابق. منذ نهاية 1977 ظهرت أفكار تكفيرية على بعض أعضاء الجماعة الذين يدرسون في جامعة الإمام محمد بن سعود، وجرت نقاشات بين أعضاء الجماعة وبين ومن يخالفهم من زملائهم في السكن الجامعي، وكان بعض أتباع الجماعة يصدرون أحكاماً بتكفير من يخالفونهم من زملائهم، ثم انقطعوا عن الدراسة. لقاء أجراه الباحث مع محمد المنصوري نائب رئيس جمعية الإصلاح برأس الخيمة في 3 أبريل 2009، وقد دخل المنصوري في نقاش مع أعضاء الجماعة أثناء فترة دراسته في الجامعة.

(79) محمد أحمد الحاج، في حديث مع الباحث في العاصمة الأردنية عمان، أبريل 2000. وقد كان الحاج مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام 1399-1400هـ/1979م، وحضر بعض خطب القحطاني.

(80) محمد بن عبدالله، البيان والتفصيل، رفعت سيد أحمد، ص100 - 104.

السجن

قامت الحكومة باعتقال عدد من أعضاء الجماعة مرتين[81]، وتعددت أسباب السجن، فقد أشار ولي العهد السعودي -آنذاك- الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى أن أعضاء الجماعة سبق أن أوقفوا وأخذت عليهم التعهدات وأفرج عنهم بشفاعة أحد العلماء[82]، وهناك من ذكر بأنهم سجنوا بتهمة جمع تبرعات لبناء مساجد لم يكن لها وجود، بقصد استخدامها في شراء الأسلحة وتكديسها في المخازن، وقد كانت الجماعة تحصل على تبرعات من الأثرياء من القصيم وغيرهم، إما مباشرة وإما بواسطة ابن باز، وقد فكرت الجماعة بتوفير مصادر دخل ثابتة إضافة إلى التبرعات، وقام أحد أعضاء الجماعة بإنشاء مخبز شاركه فيه مرشد الجماعة أبوبكر الجزائري وبعد خلافات فضت الشراكة وبيع المخبز[83].

وقد أفرجت الحكومة عمّن سجنوا في المرة الأولى بعد أربعين يوماً، وفي قصيدة لشاعر الجماعة أحمد المعلم إشارة إلى الوشايات التي كانت ترفع إلى الحكومة يقول فيها:

وبهتّمـونا بالقبـائع كلهـا ... وعرضتمونا بالقناع الأسود
ورفعتمـونا للولاة تشفّـيا ... وفرحتمُ بتهدُّد وتوعُّد[84]

(81) الوادعي، المخرج من الفتنة، مصدر سابق، ص 109، الطبعة الثانية
(82) جريدة السفير اللبنانية، مصدر سابق.
(83) الحربي، مكتبة الملك فهد، مصدر سابق.
(84) الرسائل ٤١٦، رفعت سيد أحمد، مصدر سابق.

ويبدو أن الحذر من المخبرين والجواسيس كان مسيطراً في تلك الفترة، فقد فاضت قريحة جهيمان نفسه وهو هارب بقصيدة متوجعة من عشرين بيتاً تحكي حزنه وشوقه إلى من اعتقلوا ويهجو فيها المخبرين ويقول فيها:

ولا أنت يالجاسوس مرسول فجار	يجيك حظك ياطوير الفراشي
ياعيد ما جيتوا من السجن باخبار	من بعدهم ياعيد كثر طلاشي[85]

وعيد الذي يخاطبه جهيمان هو عيد الشابحي زوج الأخت الصغرى لمحمد بن عبدالله القحطاني (المهدي). وقد أعدم مع من أعدموا[86]، وقد ذكر الوادعي أن عبدالقادر شيبة الحمد كان محرضاً ضد الجماعة ويتهم الإخوان بأنهم أتوا لمخالفة علماء الدولة والحكومة[87].

قامت السلطات السعودية باعتقال أعضاء الجماعة مرتين. وكان من بين من اعتقل محمد بن عبدالله، ثم أطلق سراحه ضمن من شملهم العفو بعد أخذ التعهد عليهم. المرة الأولى كانت قبل سنة من احتلال الحرم، وقد ذكر ولي العهد -آنذاك- الأمير فهد في مقابلته مع السفير أن محمد بن عبدالله سبق إيقافه قبل عام ثم أفرج عنه[88].

---

(85) جهيمان. الميزان في حياة الإنسان. الرسائل. مصدر سابق. ص179.

(86) الحربي. مكتبة الملك فهد. مصدر سابق.

(87) المخرج من الفتنة ط1. مصدر سابق. وسيرة ذاتية صوتية ج2. مصدر سابق.

(88) جريدة السفير. مصدر سابق.

لاذ جهيمان بالفرار والتخفي. وقد تعرض لأسباب فراره وتخفيه موضحاً أنه ليس أمامه إلا أن يوافق الحكام في مخالفاتهم، أو أن يناصحهم وهم لا يحبون الناصحين. وهو أيضاً لا يريد قربهم وليس أمامه إلا السكوت ولكنه لن يسكت فلم يبقَ إلا الثالثة وهي «القتل». ولكنه لن يخدع فيسلم نفسه لأنه «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (في إشارة منه إلى من استسلم بعد السبلة 1929 من الإخوان) فافهم ولا تنخدع بحملة الفقه وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنّة». ويقول: «هذا من الجبن والخوف والذل»[89]. وقد ذكر جهيمان أن هناك من أشار على الحكومة بقتله «فمنهم من قال في شأني وشأن الإخوان اقتلوهم فإنهم خوارج، ومنهم من قال اسجنوهم فإنهم متمردون»[90].

أفرج عن الموقوفين بعد شهرين بوساطة قام بها ابن باز. ويبدو أن ابن باز كان هو الضامن للجماعة أمام الملك. فقد أشار الأمير نايف إلى أن «دعوة الجماعة وأسلوبها عندما بدأ منذ سنوات كان منحصراً في الدراسة والمناقشة، ولم يكن ثمة اختلاف بخصوص نشاطها، وأن الجماعة كان يقتصر نشاطها على الندوات العلمية في المساجد والحلقات الدراسية. ولكن الانحراف ظهر في السنوات الثلاث الأخيرة»[91]. وذكر ولي العهد آنذاك الأمير فهد أن الحكومة كانت عندما تقوم بسجن بعض الجماعة «يكون هناك من يشفع لهم ويؤكد أنه ليس وراءهم خطر يذكر». وأشار

(89) الإمارة والبيعة، الرسائل، مصدر سابق، ص 8؟.

(90) المصدر سابق، ص 78.

(91) وثموت الفتنة، مصدر سابق، ص 89

إلى أنه جرى اتخاذ إجراءات ضدهم وسجنوا ولكن «تدخل بعض الإخوان للإفراج عنهم عن حسن نية، لأن من تدخل كان يعتقد أنهم ربما يكونون مفيدين للدعوة، ولكن تبيّن للإخوة أن قصدهم سيّء ويخالف كتاب الله وسنّة رسوله ووقفوا ضدّهم وبيّنوا انحرافهم»[92].

إعلان الدعوة وحشد الأنصار

قام جهيمان عام 1978 بتأليف رسالة عن أشراط الساعة أشار فيها إلى أنه كان بدأ بحث أحاديث الفتن وأشراط الساعة وظهور المهدي منذ ثماني سنوات[93]، وقام بتفسيرها وتطبيق بعض مآلاتها على الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وخلفائه في الحكم.

منذ نهاية العام 1977 سيطرت على جهيمان العتيبي ومحمد بن عبدالله فكرة ظهور المهدي في أوائل القرن الخامس عشر الهجري. وتضافرت أفكار الجماعة على أن محمد بن عبدالله هو المهدي المنتظر، واستأنست الجماعة ببعض الرؤى والمنامات التي رآها العشرات منهم وتؤكد مهدية محمد بن عبدالله. قوبلت هذه المنامات التي كان يجري الحديث عنها بشكل سري باستهجان من قبل العلماء الذين كان لهم صلة

---

(92) جريدة السفير، مصدر سابق. أيضا وتموت الفتنة، مصدر سابق، ص 49-50.

(93) أي تقريباً منذ 1970، وهي لا تؤكد نية مبكرة عند جهيمان للإعداد لما حدث بعد ذلك من بيعة المهدي واحتلال المسجد الحرام، لأن العادة استقرت على أن القراءة في كتب الفتن والملاحم وأشراط الساعة من جملة اهتمامات معظم المتدينين و(المطاوعة)، وإن تفاوتت مستويات معرفتهم بالشريعة.

وثيقة بالجماعة، وأحدثت خلافاً بين حلفاء جهيمان داخل الجماعة، ولم يُفصَح عن هذه المنامات التي تبشّر بمحمد بن عبدالله مهدياً منتظراً بشكل علني إلا في بداية العام 1979. وقد أشار جهيمان إلى اعتنائه بدراسة أحاديث المهدي[94].

وقد توثّقت علاقة جهيمان ومحمد بن عبدالله بالمصاهرة. ويُذكر أن سعد القحطاني شقيق المهدي كان يردّد بأن عائلتهم قدمت مع القوات التركية في أواخر القرن التاسع عشر، وأقامت في عسير، وأن نسبهم يعود إلى الأشراف ولهذا اصطحبهم الأتراك من أجل البركة وتفاؤلاً بالظفر، وهو تقليد كان معروفاً في جيوش الأتراك الغازية. فصاهروا قبائل الجنوب ثم انتقلوا إلى الرياض[95]. وقد ذكر الأمير نايف في ندوة أقامتها جامعة الرياض في 9 يناير 1980 بأن «المهدي رجل مصري وليس بتركي، وأن والد المهدي أفاد بأن جده وصل إلى منطقة عسير أثناء غزو الأتراك لعسير وسمي باسم القبائل هناك، وأنه لاعلاقة له بقريش أو نسب الرسول»[96]. وذكر الحزيمي أن كتاب «إتحاف الجماعة بماجاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» كان موجوداً في كل مكتبات الإخوان، وأن جهيمان كان يهتم بشكل مكثف بالرؤيا كلما اجتمع بأصحابه، ويسألهم إن كان منهم من رأى رؤيا، ويقول «لقد عُرِف جهيمان كمؤوِّل ومفسر للأحلام مبكراً في مسيرة الجماعة، وبعد منتصف 1978 سيطرت الرؤى على الجماعة ومنها

---

(94) جهيمان، أشراط الساعة، الرسائل، مصدر سابق، ص 18.

(95) ذكر ذلك الحزيمي في لقائه مع مكتبة الملك فهد مؤكداً أن سعداً شقيق المهدي ذكر ذلك له.

(96) وتموت الفتنة، مصدر سابق، ص 73.

رؤى تنفر من العمل في مؤسسات الحكومة، وكان الشيخ علي المزروعي يحذّر من اعتماد الأحلام كمحرك لتوجه الجماعة.[97]

في أغسطس 1979 أصدر جهيمان رسالته الأخيرة مكتوبة باسمه الصريح، وقد تولى متابعة طباعتها بنفسه حيث استطاع دخول الكويت عبر الحدود البرية في فترة كان فيها مطلوباً لأجهزة الأمن السعودية، وقام محمد بن عبدالله بنشر رسالته الوحيدة عن العلم والعلماء (البيان والتفصيل) ونشر اسمه معلناً لرفقائه أن الخوف قد زال من قلبه ولا داعي لإخفاء اسمه[98].

---

(97) الحزيمي، جريدة الرياض، 5 سبتمبر 2004. أوصى جهيمان في رسالة (الفتن وأشراط الساعة) بقراءة هذا كتاب (إتحاف الجماعة) "مع الحذر من الروايات الضعيفة فيه" مشيراً إلى أن الشيخ التويجري قد نبّه إلى بعضها "وللشيخ قدم راسخة في هذا الباب زاده الله توفيقاً". الكتاب من تأليف حمود بن عبدالله التويجري، (1913-1992). وهو فقيه حنبلي، نجدي ولد في المجمعة شمال غرب الرياض وألف 41 كتاباً، بعضها ردود على خصوم دعوة محمد بن عبدالوهاب وابن تيمية، وبيان لموقفه من المخترعات والعادات والتعليم والإعلام، وهي تتصف برؤية متشددة تجنح إلى التحريم والتبديع، وكتب التويجري هي مرجع عند متشددي الوهابية في العقائد والسلوك والعادات، وكانت كتبه عمدة عندهم لما يقارب أربعين عاماً، منذ الخمسينات من القرن الماضي، وقد صدر كتاب (إتحاف الجماعة) في 1974، وبعد حادثة الحرم 1981 كتب مفتي قطر عبدالله بن زيد المحمود رسالة (لامهدي منتظر بعد الرسول خير البشر)، يضعف فيها أحاديث المهدي، فكتب التويجري مجلداً يردّ فيه على المحمود (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر) 1981، من منشورات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية، وقدم له رئيسها عبدالعزيز ابن باز، دافع فيه التويجري عن عقيدة المهدي وأكد صحة الأحاديث الواردة فيه، ولم يأت على ذكر مهدي جهيمان بشيء، وقد كان كتاب التويجري (إتحاف الجماعة) عمدة عند جهيمان وأتباعه، وقد كتب التويجري قبل وفاته كتاباً عن (الرؤيا) 1991 جاء في خاتمته ص 196 "ومن الأحلام التي لا شك أنها من تلاعب الشيطان بالجهال ما وقع للفئة التي فارقت الجماعة وأحدثت في الحرم في أول سنة 1400هـ ومنعت الناس من الصلاة في المسجد الحرام ومن الطواف بالكعبة نصف شهر، فقد ذكر عن غير واحد منهم أنهم رأوا في المنام أن صاحبهم الذي ادعوا فيه المهدية هو المهدي الذي أخبر رسول الله أنه يخرج في آخر الزمان، فكانت النتيجة من هذه الأحلام الشيطانية أن فارقوا الجماعة وعملوا الأفاعيل الشنيعة في حرم الله تعالى إلى أن يسّر الله القبض عليهم والحكم عليهم بالإعدام، فغرّهم الشيطان بالأحلام الكاذبة ثم تخلّى عنهم وأسلمهم للقتل، نعوذ بالله من مكايد الشيطان وأحابيله".

(98) الحزيمي، لقاء مع الباحث، الرياض.

أجهزة الأمن ترصد الحدود

منذ أغسطس 1979 نشطت الجماعة في توزيع رسائلها في عدد من مدن السعودية في مكة والمدينة والرياض والقصيم وحائل. على إثرها تضاعفت الحملات التفتيشية والمداهمات التي كانت تقوم بها أجهزة الأمن السعودي بحثاً عن مطلوبين من الجماعة وعلى رأس القائمة جهيمان.

ضبط حراس الحدود شحنة مهربة من الكويت على الحدود في رمضان 1399هـ/أغسطس 1979م. وكانت تحتوي على ألوف النسخ من رسالة جهيمان «الإمارة والبيعة والطاعة» وهي آخر رسالة كتبها. وكانت هجوماً قاسياً على الأسرة الحاكمة وعلماء الدين الرسميين. ولكنه كان يتبرأ من القول بكفر الحكومة ويتنصل منه. وقد أشار إلى أنه كان يبتعد عن الكلام في الحكم ومسائل التكفير. «أما الآن فقد أُجبِرتُ لدفع التهمة عني وعن إخواني. ولبيان الحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[99].

ذكر جهيمان بأنهم عرضوا معظم الرسائل على ابن باز فلم ينكر إلا تخصيص الحكومة السعودية بالنقد. «فلم نوافقه عليه لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس على كثير من الناس». وقد ذكر وزير الداخلية الأمير نايف ذكر أنهم أبلغوا وزارة الداخلية الكويتية بشأن نشرات الجماعة التي

---

(99) الإمارة والبيعة، الرسائل، مصدر سابق. ص ٩٨

ظهرت في رمضان 1399 هـ/1979م وذكر أن «النشرات كان يلمس منها خروجهم ومخالفتهم للقواعد الشرعية وإجماع المسلمين»[100].

ازدادت عزلة جهيمان عن العلماء المتعاطفين وكثرت خلافاته مع بعض قيادات الجماعة بسبب موقفه المتشدد من ابن باز وغيره ممن كان يصفهم بعلماء الحكومة. وفي الثلث الأخير من عام 1979 عمل جهيمان على الالتقاء بأعضاء الجماعة ممن طواهم جناحه في أماكن متعددة بشكل سري وبعيداً عن أعين الأمن[101]. وعرض عليهم فكرة مبايعة المهدي محمد بن عبدالله في المسجد الحرام بمكة المكرمة لقيادة الأمة الإسلامية. وقد اختلف معه كثيرون ووافقه آخرون. وفي موسم حج 1399هـ /1978م لوحظ كثرة الأسئلة عن حقيقة ظهور المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً مع حلول القرن الهجري الجديد. والمنامات التي «تواطأت» عن ظهور مهدي آخر الزمان.

وقد ذكر الألباني أن الأسئلة عن خروج المهدي كثرت في الحج تلك السنة. «ناقشوني عن أن المهدي قد خرج وذكروا مدينة حائل. وأن

(100) وثموت الفتنة. مصدر سابق. ص 77-83. وذكر محمد المجذوب الأستاذ في الجامعة الإسلامية أن قادة المقتحمين إلى الحرم كتبوا رسائل أودعوها خلاصة ما استقر في قلوبهم من الأفكار التي كشفت شذوذهم.. "والعناد والغرور أراهم أن كل فهم انتهى إليه كبار علماء العصر خطأ بل ضلال". مجلة الجامعة الإسلامية. العدد الخامس والأربعون. 1980.

(101) اجتماعات التحضير للاحتلال كانت تجري في عدد من الأمكنة منها مزرعة الحصيني في العمار غرب العاصمة الرياض كما ذكر ذلك ناصر الحزيمي. في لقائه مع مكتبة الملك فهد. وذكر الأمير نايف أن "الاجتماعات كانت تجري أحياناً في الحرم. وهناك اجتماعات صغيرة. ولكن قرار دخول الحرم حصل في النصف الثاني من شهر ذي الحجة 1399". وثموت الفتنة ص81.

المهدي اسمه محمد بن عبدالله القحطاني، وكان عمره أربعة وعشرين عاماً، فقلت لهم المهدي من عندنا نحن في الشام وليس عندكم، واستدلوا بمنامات وأحاديث ليلة القدر وأن الرسول قال: «أرى رؤياكم قد تواطأت»، فقلت لهم لكنكم لستم الصحابة...زرت المدينة بعد الحج واستضافني علي بن مشرف العَمْري الذي اشتهر بأنه يعالج الناس بالرقية، وأثار بعض من حضر الموضوع معي مرة ثانية وقاموا بتسجيل اللقاء، وبعد عودتي إلى الشام بثلاثة أيام سمعت من الراديو أن جهيمان احتل الحرم، فتذكرت النقاش الذي جرى في المدينة... وبعد أن قبضت السلطات السعودية على العَمري وجدتُ الشريط الصوتي الذي سُجلتْ به الجلسة التي دار بها النقاش فدعم ذلك موقفي»[102].

وقد قارن الألباني بين مهدي جهيمان وبين القاديانية، ووصف أتباع جهيمان بالأشرار[103]. وقد أشار ابن باز في فتواه التي أصدرها مباشرة بعد احتلال الحرم إلى مسألة المنامات وأن «اعتمادها في إثبات كون فلان هو المهدي هو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان»[104].

ويبدو أن بعض الحجاج الذين أشيع بينهم أن المهدي سيخرج في مطلع القرن الهجري بقوا في مكة ينتظرون خروجه ليبايعوه قبل رجوعهم إلى بلادهم[105]. وهذا ما يؤكد أن بعض من بايع وشارك في

---

(102) الألباني، سيرة ذاتية صوتية، مصدر سابق، ج3.

(103) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء الخامس ص 278، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983.

(104) مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1400هـ/ فبراير 1980.

(105) حمود العقيل، خطبة جمعة، جريدة الرياض، 2 ديسمبر 1979.

دعم المقتحمين كانوا ممن اتخذوا قرارهم من داخل المسجد صبيحة اليوم الأول للاحتلال. وقد سجن مصريون كانوا حجاجاً على خلفية مبايعتهم للمهدي في الحرم. حيث سجنت أجهزة الأمن منهم 150 أطلقت سراحهم باستثناء ثلاثين منهم قضى بعضهم سنوات في السجن[106].

في 25 ذي الحجة 1400هـ/15 نوفمبر 1979م. اجتمع جهيمان بمشرات من أتباعه في الطائف وعرض عليهم فكرة مبايعة المهدي محمد بن عبدالله القحطاني واقتحام المسجد الحرام وهم مدججون بالسلاح أمام الكعبة في صبيحة اليوم الأول من محرّم 1400 للهجرة. تردد كثيرون ووافقه البعض وأنكر عليه آخرون واعتزلوه. وطائفة بقيت مترددة وحسمت أمرها في اللحظات الأخيرة. بينما فضلت جماعة الحضور ومراقبة الأوضاع. وحسب وزير الداخلية السعودي فقد اتُّخذ قرار حمل السلاح ليلة العشرين من نوفمبر (أي ليلة احتلال المسجد الحرام). وقد أظهرت التحقيقات أن بعض من شاركوا في الاحتلال بقوا مترددين في حقيقة المهدي حتى نهاية ذي الحجة. وأنهم لم يقرروا دخول الحرم بالأسلحة إلا في 25 ذي الحجة[107]. وقد أجرى التليفزيون السعودي مقابلات مع بعض من بايعوا المهدي ودعموا المقتحمين. وكان منهم شخص ذكر أنه لم يعرف المهدي إلا صبيحة الإعلان عن بيعته أمام الكعبة ولم يسبق له أن رآه أو سمع به.

---

(106) الأحرار المصرية 7 يوليو 1980.

(107) وثموت الفتنة. مصدر سابق. ص 77.

نهاية الأسطورة

فجر يوم الثلاثاء الأول من شهر محرم 1400 للهجرة/20 نوفمبر 1979 اقتحم جهيمان مع 250 مسلحاً المسجد الحرام وأعلنوا ظهور المهدي محمد بن عبدالله الهاشمي الحسيني من ذرية فاطمة، ودعوا إلى مبايعته وأغلقوا أبواب الحرم. وتوزعوا على منائر المسجد ومداخله، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء فتوى بضلال المقتحمين والتحذير من فتنة المهدي المزعوم. وأصدر ابن باز فتوى أخرى تؤيدها[108]. قامت الحكومة السعودية بعد أسبوعين بتحرير المسجد الحرام في 3 ديسمبر 1979.

لقي محمد بن عبدالله المهدي حتفه في اليوم الرابع من الاحتلال، وقتل 177 من أتباع المهدي وقامت القوات السعودية بالقبض على من تبقى منهم وعلى رأسهم جهيمان. وفي التاسع من يناير 1980 أعدم 63 من المشاركين في الاحتلال منهم جهيمان. وحكم بالسجن على عشرات من الرجال و 12 امرأة[109].

---

(108) مجلة البحوث الإسلامية، مرجع سابق.

(109) وقد ذكر الأمير نايف أن مجموع النساء والأطفال كان 23، منهم 10 نساء و13 صبياً. جريدة الندوة، 25 صفر 1400 هـ/ 13 يناير 1980م. وذكر محمد عبدالله مليباري عن أحد الشهود الذين تمكنوا من دخول الحرم في اليوم الثاني للاحتلال وهو محمد عبدالقادر مكاوي أن ثلاثة من المسلحين المقتحمين من بينهم امرأة كانت تحمل سلاحاً أبيض بيدها. قامت بتفتيشهم ثم أمرتهم بمبايعة المهدي الذي كان واقفاً في صحن المطاف. وتموت الفتنة، ص 204.

اللحظات الأخيرة

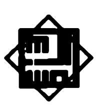
سرت شائعات عن لحظات القبض على جهيمان، وأيامه الأخيرة في زنزانته، فمنها ما يصفه بالشجاعة المفرطة ورباطة الجأش وتحدّيه للمحققين ومن قابله من الأمراء. في المقابل يذكر بعض رفقائه أنه ضعف كثيراً أثناء التحقيق وأدلى بمعلومات تسبّبت بسجن أشخاص لم تكن أجهزة الأمن تعرف عنهم شيئاً[110].

يؤكد مصدر أمني-فضل عدم ذكر اسمه- أن جهيمان بدا هادئاً وواثقاً من نفسه أثناء استسلامه: «وجدناه جالساً فوق كومة من الذخيرة في إحدى غرف الخلوة في المسجد، كان في هيئة استعداد، وفي زاوية يمكنه فيها إطلاق الرصاص، ولكنه لم يفعل. سألوه من أنت؟ فقال أنا جهيمان العتيبي. انقاد لهم بسلاسة، ولم يتمكنوا في البداية من تأكيد هويته، فعُزل عن بقية زملائه الذين استسلموا. بعد ساعات تعرف عليه جندي زامله في الحرس الوطني، قال: نعم أعرفه، إنه سائق الشاحنة. كان جهيمان ضعيفاً من آثار الحصار في الخلوات، وكان يعاني من إصابة في يده. كان متمسكاً بحقيقة المهدي محمد بن عبدالله، وقال: لقد تأكدت من نسبه وكلّفت إسماعيل راعي رابغ بأن يتقصى الأمر، وتأكد لي ذلك وجاءت الرؤى مبشرة وزادتني يقيناً. وقد أنصت جهيمان بكل هدوء إلى نصيحتي وأنا أخوّفه بالله. قلت له: كيف تستحل بيت الله الحرام، وهي لم تحلّ إلا ساعة من نهار للرسول

(110) الحربي، مكتبة الملك فهد، مصدر سابق، وذكر أن أحمد المعلم أفضى إليه حينما اجتمعا في سجن المباحث العامة أثناء التحقيق بأن جهيمان كان كريماً في المعلومات مع المحققين.

من دون غيره؟ كان يصغي إلي باهتمام. ثم قال: أقسم بالله أنه لو كنت أعلم أن الأمور ستؤول إلى ماحصل لما أقدمت على قيادة جماعتي بالسلاح في المسجد الحرام. ثم سألني عن اسمي وعائلتي، وقال لي: لقد ارتحت إليك، واسأل الله أن يجمعنا في الجنة. وطلب أن أحضر له موزة ليأكلها، أحضرتها له وطرحت عليه سؤالين عن مصادر تمويل الجماعة، ثم ودعته[111].

(111) لقاء أجراه الباحث مع المصدر في دبي مارس 2010.



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتف: 77 151 36 4 971 +

فاكس: 78 151 36 4 971 +

info@almesbar.net

بقيت القصة الحقيقية للجماعة التي احتلت المسجد الحرام صبيحة الأول من شهر محرم 1400 الهجرة، بعيدة عن غالبية ما نشرته وكالات الأنباء والصحافة العالمية والكتب التي تناولت الجماعة وأسباب احتلالها للحرم. وقد نسجت مخيلة الرواة أساطير كثيرة عن قائد الجماعة جهيمان العتيبي قبل الاحتلال وبعد القبض عليه. تضمن الكتاب ثلاثة نصوص لكتّاب سعوديين هي محاولات لكشف لغز استبهم أكثر من عقدين، قبل أن تبدأ الصحافة السعودية والكتاب المحليون الحديث عنه على استحياء مع بداية الألفية الثالثة. يكشف الكتاب كثيراً مما بقي مجهولاً عن فكر الجماعة التي كانت وراء الحدث الكبير الذي فاجأ العالم الإسلامي صبيحة الحادي والعشرين من نوفمبر 1979، مستنداً إلى شهادة شخصية هامة، مدعومة بوثائق من منشورات الجماعة والمصادر الشفهية ومقابلات خاصة مع مصادر أمنية ورسائل من أشخاص كانوا على صلة بما حدث.


ISBN 978-9948-443-54-4





www.almesbar.net